الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

دور الإحالة الضميرية في سورة الحديد

(من البعد اللساني إلى البعد السوسيوثقافي)

مذكرة تخرّج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عامة

إعداد الطالبتان:
رجاء بيسي
مباركة مقدود

إشراف الأستاذ:
د. نعيمة عيشوش

نوقشت المذكرة علنا يوم : 2025/5/28

أمام اللجنة المكونة من الأساتذة :

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
د.فضيلة بوجلخة	أستاذ محاضر أ	جامعة الشهيد حمة لخضر	رئيسا
د. نعيمة عيشوش	أستاذ محاضر أ	جامعة الشهيد حمة لخضر	مشرفا ومقررا
د.فاطمة عبابة	أستاذ محاضر أ	جامعة الشهيد حمة لخضر	مناقشا

الموسم الجامعي:2025/2024

شكر وتقدير

تتقدموا بخالص الشكر وعظيم الامتنان الى كل من كان له دور في انجاز هذه المذكرة ، وفي مقدمتهم أستاذتنا المشرفة د . عيشوش نعيمة ، التي لم تبخل علينا بعلمها وتوجيهاتها السديدة ، فكانت سندا علميا و أخلاقيا في كل مراحل البحث .

كما نخص بالشكر أساتذة القسم الكرام ، الذين شكلوا بعطائهم العلمي وملاحظاتهم الثرية زادا لا يقدر بثمن في مسيرتنا الأكاديمية .

ولا يفوتنيا أن نتوجها باصدق عبارات الشكر والعرفان لعائلتنا الكريمة ، التي كانت دوما مصدر دعمنا النفسي والمعنوي ، ولصديقتي التي شاركتني في رحلة البحث ، وكانوا عونا لي في اوقات التحدي .

إهداء

الى كل معلم صدق

وكل قارئ يبحث عن معنى خلف الكلمات

وكل من يؤمن بأن للغة روحاً، و للنص رسالة

نهدي هذا الجهد، راجينا من الله القبول و السداد

مقدمة

عرف الدرس اللساني في منتصف القرن الماضي إنعطافا واضحا في مسار التحليل اللساني بسبب وعي العديد من الباحثين بقصور لسانيات الجملة السائدة على تفسير العديد من الظواهر اللغوية، فظهر علم لسانيات النص الذي نقل التحليل اللساني من التركيز على بنية الجملة الى استكشاف الدينامية الكامنة في النصوص والعلاقات الدلالية التي تحكمها.
وأبزر الظواهر اللغوية التي عجزت لسانيات الجملة على تفسيرها هي ظاهرة الإحالة التي تضمن الاستمرارية الدلالية للنصوص وتبلور مواضيعها من خلال مبدأ التكرار الذي يشد الموضوع إلى الوراء والديناميكية الخطية التي تدفع بالنصوص إلى الأمام.

وتعتبر الإحالة الضميرية من أهم و أبرز الإحالات بسبب تواترها واحتلالها لحيز كبير وهام في بناء النصوص وتماسكها، وقد عرفت بظاهرة العائد عند اللغويين القدامى الذين درسوها بشكل عميق خاصة في النص القرآني؛ حيث أدركوا بانّ الضمائر تحمل حمولة دلالية وسياقية تعكس علاقات المتكلم بالعالم وبالمخاطب، وضرورة ربط هذه الظاهرة اللسانية بالأبعاد الاجتماعية والدينية والثقافية، ولكن كممارسات فعلية مبثوثة في العديد من الكتب أغلبها كتب التفاسير.

من هذا المنطلق حاولنا التعرّف على دور الإحالة الضميرية في النصوص منطلقين من فرضية أن دورها لا ينحصر في الربط و الاتساق، بل يمتد إلى أبعاد سوسيو-ثقافية تعكس تمثّلات المتحدث عنهم، ومكانتهم، وقيم المجتمع الذي ينتمي إليه، وقد اخترنا البحث في النص القرآني وبالضبط سورة الحديد ، من زاوية أن الدراسات القرآنية لا يقتصر دورها عن الأبعاد اللسانية فقط، بل تعتبر هذه الأخيرة كخطوة أولية للوصول لأبعاد لها علاقة بتفاعل الإنسان مع ذاته ومع من حوله لتتشكل الأبعاد الاجتماعية والثقافية، وسورة الحديد بالأخص ليس لها صلة مباشرة بأسباب نزول آياتها (إلا في موضع واحد من بعض المفسرين) ، لذا حاولنا الوصول لمقام تلفظها ومقاصدها الدينية من خلال الانطلاق من البعد اللساني للإحالة الضميرية، فكانت مذكرتنا موسومة بـ:

دور الإحالة الضميرية في سورة الحـــديد(من البعد اللساني إلى البعد السوسيوثقافي)

ومن هنا تتحدد إشكالية هذا البحث في السؤال الرئيسي الآتي:

إلى أيّ حد تسهم البنية الضميرية في سورة الحديد في بناء المعنى النصّي من جهة، وفي تجلية البعد السوسيو–ثقافي للخطاب القرآني من جهة أخرى؟

ويتفرع عن هذا السؤال جملة من الأسئلة الفرعية، منها:

- ما الوظائف النصية والدلالية التي تحققها الضمائر في سورة الحديد؟
- كيف تعكس البنية الضميرية تمثّلات المتحدث عنهم بواسطة الإحالة الضميرية ضمن الإطار السوسيو–ثقافي الإسلامي؟

وقد جاء اختيار موضوعنا هذا إستجابة لجملة من الدوافع العلمية والمنهجية والذاتية، يمكن تلخيصها فيما يلي:

- الحاجة إلى مقاربات لسانية نصية للخطاب القرآني، تأخذ بعين الاعتبار أبعاده التداولية والسياقية، بعيدًا عن التناول التقليدي الذي يركّز على الجوانب الدلالية دون استثمار مناهج اللسانيات الحديثة.
- أهمية الضمائر في بناء الخطاب، باعتبارها عناصر لغوية لها وظائف إحالية ومعرفية ودلالية، يمكن من خلالها تفكيك بنية النص واستجلاء آليات تشكله.
- ثراء سورة الحديد من حيث تنوّع المحال إليهم ، إذ تبرز فيها أنماط متعددة من المتحدّث عنهم بواسطة الإحالة الضميرية التي تنتقل بسلاسة بينهم ما يتيح ملاحظات تحليلية دقيقة على المستويين النصي والسوسيو–ثقافي.
- الرغبة في ربط التحليل اللساني بالبعد الثقافي والديني، من خلال تتبع كيف تُعبّر البنى الضميرية في النص القرآني عن أنماط التفكير الإسلامي، وتمثّلات العلاقة بين الذات الإلهية والإنسان والمجتمع.
- سدّ فجوة بحثية، إذ يلاحظ ندرة الدراسات التي تتناول الظاهرة الضميرية في القرآن الكريم من زاوية لسانيات النص ومنظور سوسيو لساني تكاملي، وهو ما يمنح هذا البحث طابعًا إشكاليًا وأصالة علمية.

ويهدف هذا البحث إلى:

- تبين دور الإحالة الضميرية في سورة الحديد من زاويتين متكاملتين:

✓ من الزاوية اللسانية النصية، لاستكشاف الوظائف اللسانية للضمائر ودورها في تحقيق تماسك النص وبنائه الدلالي ضمن بنيته التركيبية والوظيفية داخل السياق النصي.

✓ من الزاوية السوسيو–ثقافية، من خلال تتبّع الكيفية التي تعبّر بها هذه البنى الضميرية عن موقع المتحدّث عنهم بواسطة ضمير الغائب في البناء القيمي والمعرفي للعالم الإسلامي كما يصوّره النص القرآني.

- تحليل البنية الضميرية في سورة الحديد وفق مقاربة لسانية نصية.
- ربط البنية اللغوية بالرؤية القرآنية للإنسان والمجتمع من خلال ضمائر الغائب.

وقد اعتمدت الدراسة على منهجين كون هذا البحث جمع بين التحليل اللساني النصي والدراسة السوسيو–ثقافية للخطاب القرآني؛ منهج وصفي تحليلي في شقّه اللساني لرصد البنية الضميرية في سورة الحديد، وتحديد مواضعها، ثم تحليلها وفق آليات لسانيات النص، مع التركيز على الإحالة، والتماسك، والتلفظ، وتحولات البؤرة الضميرية داخل النص.، ومنهج تأويلي سوسيو–ثقافي في شقّه التداولي والثقافي لاستنباط الأبعاد الاجتماعية والثقافية للضمائر، وتبيّين عكس هذه العناصر اللغوية لتمثّلات الذات (الإلهية والإنسانية)، بتوسيع القراءة النصية إلى فضاء أوسع يشمل السياقات الاجتماعية والمعرفية التي تنبثق عنها معاني الخطاب.

وقد قسمت هذه الدراسة الى مدخل وفصلين، فكان عنوان المدخل بعنوان مفاهيم أساسية ،عرفت فيه لسانيات النص لغة واصطلاحا ثم تطرقنا للاتساق مفهومه وآلياته، ثم الإحالة مفهومها واقسامها وادواتها، أما الفصل الأول فقد عنون بـ: الإحالة الضميرية في سورة الحديد تحدثنا فيه عن الإحالة الضميرية عند القدامى والمحدثين ثم التعريف بالمدونة، كما استخرجنا جداول احصائية للإحالة الضميرية في سورة الحديد ثم قرائتها وتحليلها.

اما الفصل الثاني فقد كان بعنوان الابعاد السوسيوثقافية للإحالة الضميرية في سورة الحديد تطرقنا فيه الى التعريف بالمصطلح المركب السوسيوثقافي ثم استخراج القيم الاجتماعية والقيم الدينية والروحية.

غير أن هذه الدراسة لا تخلو من صعوبات، أبرزها:

✓ تعدد المفاهيم المرتبطة بالإحالة في المدارس اللسانية المختلفة، مما يتطلب دقة منهجية في اختيار الإطار النظري المناسب .

✓ صعوبة الفصل بين الإحالة الضميرية وغيرها من آليات الإتساقبسبب التداخل المفاهيمي والدلالي.

✓ الحاجة الى امثلة تحليلية دقيقة من تتبع الإحالة ضمن السياق دون اخلال بالمنهج او اغفال للجوانب التداولية.

وقد اعتمدت الدراسة على عدة مراجع أهمها:

✓ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير

✓ محمد خطابي، لسانيات النص

✓ مالك بن نبي ،الظاهرة القرآنية

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نشكر كل من ساهم في مد يد العون في إنجاز بحثنا هذا، و على وجه الخصوص نذكر أستاذتنا د. عيشوش نعيمة.

مدخل:

مفاهيم أساسية

أولا: لسانيات النص

مصطلح لساني حديث عرف في الدراسات اللسانية الأوروبية. ويعتبرها الدارسون حلقة من حلقات التطور الموضوعي والمنهجي في اللسانيات الحديثة. وصيغ التعامل مع الظاهرة اللسانية في الواقع والاستعمال"[1].

ويعرفها أحمد مداس بأنها: فرع من فروع اللسانيات يعنى بدراسة مميزات النص من حيث حده وتماسكه ومحتواه الإبلاغي (تواصلي)[2].

ومنه فلسانيات النص علم يدرس النصوص الأدبية حيث تجاوز دراسة الجملة ليشمل العلاقات بين عناصر النص المختلفة.

وتعد لسانيات النص أحد اتجاهات البحث في علم اللغة نشأت في النصف الثاني من القرن 20 م نتيجة لتوسع نطاق البحث اللساني الذي كان محصورا في حدود الجملة إلى دراسة النص بوصفه وحدة دلالية تواصلية كبرى.

وجاءت كرد فعل على التصور الذي أظهرته المقاربات التقليدية، وخاصة المدرسة البنيوية التي ركزت على الجملة كوحدة لغوية مستقلّة، ويعد اللساني روبوت دي بواجراند، وفولناتج درسلر من المؤسسين، ففي كتابهما المشترك (مدخل إلى علم اللغة النصي محددين سبعة معايير لتمييز النص: التماسك، النسجام، القصد، القبول، الاعلامية، الموقفية والتناص) وبذلك تطورت لسانيات النص بتأثرها باللسانيات التداولية وتحليل الخطاب ونظريات الاتصال، فمزجت بين البعد اللغوي والوظيفي والاجتماعي في فهم النصوص"[3].

و الإتساق هو المعيار الذي يركز عليه بحثنا، والذي سنتحدث عنه بالتفصيل في العنصر الموالي.

---

[1] – ينظر: النعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ط1، عمان– الأردن 1429 هـ – 2002 م – عالم الكتب الحديث، جدار للكتاب العالمي المنشور التوزيع، ص 9.

[2] – مداس أحمد، لسانيات النص، نحو منهج تحليل الخطاب الشعري، ط1، حدار للكتاب العالمي عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ص3.

[3] – ينظر: دي بوجراند روبوت ودر سلر، ولفجانج، مدخل إلى علم اللغة، ترجمة: صبحي حديدي، ط1، بيروت، دار التنوير، 1981، ص 10–14.

ثانيا: الاتساق

أ. لغة:

ورد التعريف اللغوي للاتساق في مادة (و، س، ق)، ومنه جاء في الوسيط: "كلمة تدل على حمل الشيء وسقت العين الماء، قال الله سبحانه: {اللّيلُ وَمَا وَسَق} أي جُمع وحُمِلَ...[1].

وفي لسان العرب لابن منظور: اتسقت واستوسقت: اجتمعت...، وقد وسق الليل واتسق، وكل ما انضم قد اسق والطريق يتَّسق ويتَّسِقُ أي ينظم، وفي التنزيل **﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ [الانشقاق: 16-18]**

ب – اصطلاحا:

الإتساق من المفاهيم المتناولة في اللسانيات النصية، وهو من معايير الدراسات النصية، المعبر عن التماسك النصي، حيث درس من قبل العديد من الدّارسين نظرا لأهميته، حيث يعرف بأنه: "ترابط الجمل بالنص بعضها بعضا بوسائل لغوية معينة"[2].

يقول محمد الخطابي في الاتساق: "يقصد عادة الإتساق ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص خطابي ما"[3].

إذن الإتساق هو شدة الترابط والتماسك بين أجزاء النص.

ج . آليات الاتساق:

للاتساق مجموعة من الآليات التي تساهم في تماسك النص. وهي آليات لترابط النص بعضه ببعض محافظا على كينونته واستمراريته الدلالية وهذه الأدوات تتمثل في روابط تركيبية: الاستبدال، الحذف، الوصل والإحالة وأخرى معجميته: التكرار والنظام"[4].

أ – الروابط التركيبية.

1– الاستبدال:

يشير إلى تبديل عنصر من عناصر النص بآخر ويقسم إلى ثلاثة:

- **استبدال اسمي:** ولكون باستخدام المناصر القوية اسمية

---

[1] – إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم مصر العربية، د. ط، ج1، مادة (و، س، ق)

[2] – جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص، الدار البيضاء، بيروت، ط 1، 222.

[3] – خالد حسن العدواني، دراسات الجملة العربية ولسانيات النص، ص 107.

[4] – جمعان بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص 354

- **استبدال فعلي:** ويكون باستخدام الأفعال مثل تحميل محل فعل مقدم عليه
- **اسبتدال قولي:** ويكون باستبدال جملة بأخرى وباستخدام أدوات قبل ذلك.

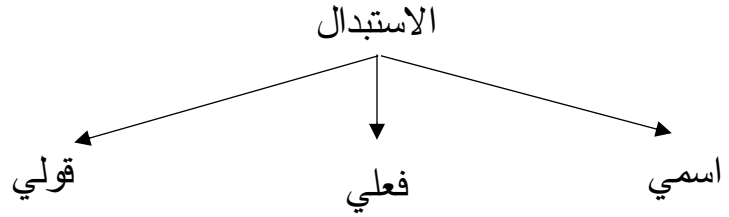

2 – الحذف:

للحذف دور أساسي في تحقيق الإتساق وذلك من خلال افتراضي عنصر موجود في النص من خلال دلالة عنصر آخر عليه. وهو ثلاثة انواع:

- **حذف اسمي:** يكون لحذف اسم
- **حذف فعلي:** يكون تحذف فعل.
- **حذف داخل شبه الجملة:** يكون بحذف شبه الجملة.

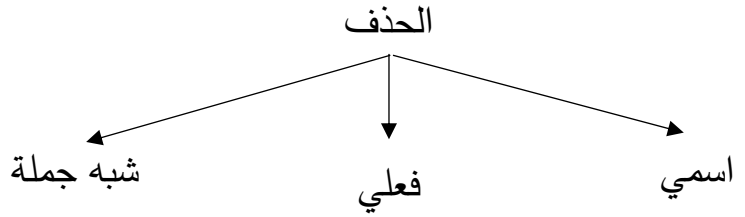

3 – الوصل:

عنصر يساعد على الربط بين الجمل والكلمات من خلال روابط معينة تربط السابق باللاحق ويقسم إلى ثلاثة أنواع:

- **الوصل الإضافي:** باستخدام "و"،" أو".
- **الوصل العكسي:** باستخدام شيء يشير للعكس أن يفيد الاستدراك، مثل: "لكن" "غير أن"
- **الوصل النسبي:** من خلال العلاقة المنطقية بين الجمل[1].

ب – الروابط المعجمية:

ويعد من مظاهر الإتساق وينقسم إلى قسمين:

التكرار: ويتمثل في تكرار لفظ أو اعادة ألفاظ في النص بقصد التأكيد

[1] – ينظر محمد خطابي، لسانيات نص، ص 23.

التضام: وهو توارد كلمتين مثلا بالفعل أو بالقول وذلك لارتباطهما بحكم علاقة من العلاقات[1].

الإحالة: وهي إحدى آليات الإتساق وبما أن هذه الأخيرة موضوع بحثنا سنتطرق إليها بالتفصيل في العنصر الموالي.

ثالثا: الإحالة

1- مفهومها:

أ- لغة: جاء في معجم المحيط: أحال الشيء يحول من الأرض التي تركت حولاً أو أحوالاً، وكل ما تحول أو تغير من الاستحواء أو العوج[2].

وذكر ابن فارس: "الحاء والواو واللام أصل واحد، وهو تحرك في دَوْر – فالحول العام، وذلك أنه يحول أي يدور"[3].

ومن هنا تتغير معنى الإحالة في اللغة هو التغير والتحول والتحرك والدوران.

ب- اصطلاحا: تعتبر الإحالة من أهم وسائل الاتساق، واعتبرها اللغويون أكثر شيوعا داخل النص. وهذا ما أشار اليه خليل إبراهيم" أنها أداه كثيرة الشيوع والتداول في الربط بين الجمل والعبارات التي تتألف منها النصوص"[4]

ويشير روبرت دي بوجراند في تعريفه للإحالة REFERNCE

" يتم تعريف الإحالة عادة بأنها العلاقة بين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات على حين جاء تعريف جون لا ينز على ما أشار اليه براون ويول " حيث قالا: يقول جون لا ينز في سياق حديثه عن المفهوم الدلالي التقليدي للإحالة أن العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالة فالأسماء تحيل إلى المسميات[5].

وعليه فالإحالة هي وسيلة لغوية تستخدم لربط أجزاء النص ببعضها البعض

---

[1] – ينظر أحمد عقيقي: نحو الجملة اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 135

[2] – محمد محي الدين الفيروز أبادي: قاموس المحيط، ص 424.

[3] – ابن فارس، معجم مقاييس اللغة مادة (حول)

[4] – ينظر خليل براهيم، لسانيات ونحو النص، ط1، دار الميسر للنشر والتوزيع والطباعة، ص 277.

[5] – ينظر براون ويول، التحليل الخطاب ترجمة الدكتور محمد لطفي الزلطيني، د منير التريكي، 1983، ص 109-222.

2 – أقسام الإحالة:

تنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسين:

الإحالة المقامية والإحالة النصية، وتتفرع الثانية بدورها إلى إحالة قبلية وإحالة بعدية"[1]

أ– **الإحالة الخارجية (المقامية):** يذكر إبراهيم الفقي مصطلح الإحالة الخارجية أنه يشير إلى الأنماط اللغوية التي تشير الى الموقف الخارجي عن اللغة غير أن هذا الموقف يشارك الأقوال اللغوية او مصطلح المرجعية الخارجية يقابل المرجعية الداخلية[2]، وهنا يقصد بالأنماط اللغوية تلك الوحدات التي تشير إلى المعنى خارج النص، إضافة إلى الدراية ومعرفة سياق الحال والأحداث الخارجية والمواقف المحيطة حتى نتوصل إلى معرفة المحال إليه بين الأشياء المحيطة بالنص. وتعتمد الإحالة لغير مذكور في الأساس على سياق الموقف وإن كان معنى المفهوم ما هو موقعه في عالم النص فإن معنى المرجع الغير المذكور له مكانة في العالم النص مع التركيز على الموقف الاتصالي[3]، ويساهم هذا النوع من الإحالة في ترابط وتناسق النص.

ب – **الإحالة النصية:** والتي تحيل إلى عنصر (النص/ اللغة) حيث تقوم هذه الإحالة على دور فعال في الترابط و الإتساق النصي بشكل مباشر وهي تنقسم إلى:

- **الإحالة على السابق:** وهي إحالة من مسمياتها إحالة بالعودة أو إحالة إلى الوراء وتسمى (قبلية)، وهي تعود على مفسر سبق التلفظ به".

مثال: كقول المتحدث انظر إلى السماء أنها صافية ففي هذه العبارة استعمال المرجع الذي هو (السماء) مذكورا ذكرا كاملاً على أنه عنصر من عناصر الخطاب، ثم جيء بعد ذلك بضمير متصل بالهاء في قوله (إنها) لتعود على نص سابق وهو السماء.

- **الإحالة إلى اللاحق:** ويطلق عليها إحالة إلى الأمام وتسمى (بعدية)، وهي تشير إلى عنصر مذكور بعدها في النص – أولا حق عليها – أي أنه يستمد تأويله من كلام يأتي بعده.

---

[1] – ينظر محمد خطابي، المرجع السابق، ص 17.

[2] – ينظر صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، ط1، 2000، ص 165.

[3] – ينظر: بوراس سليمان: مذكرات ماجستير والقرائن العلائقية وأثرها في الاتساق، ص 28.

مثال ذلك قوله تعالى: " هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون" فهنا ورد اسم الإشارة (هذه) ليحيل بعديا على لفظ. (جهنم) التي يكذب بها المجرمون فهنا ذكر المحيل (هذه) ثم ذكر بعده الحال إليه (جهنم)، وهنا تكون الإحالة بعدية"[1].

ولتوضيح هذا التقسيم أكثر نقترح المخطط التالي:

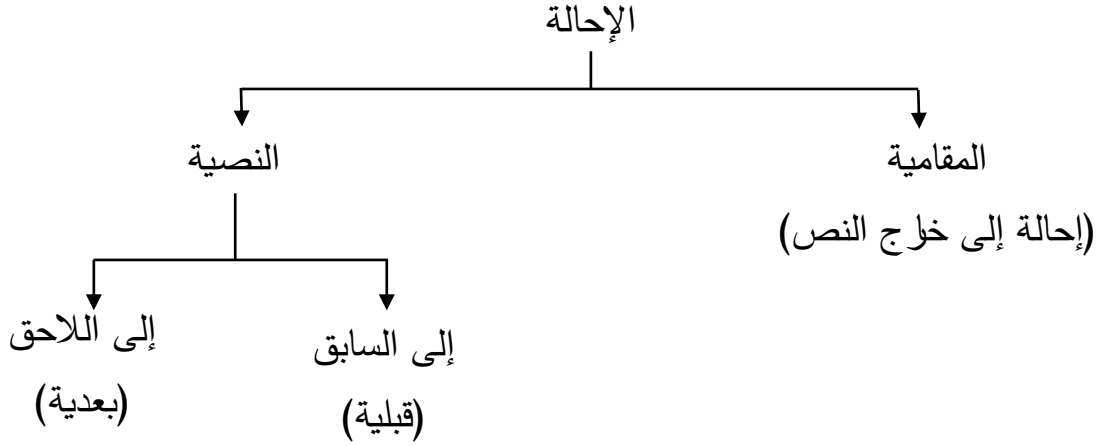

3- أدوات الإحالة:

تتفرع أدوات الإتساقالإحالة إلى: الإحالة بأسماء الإشارة، الإحالة بالمقارنة والإحالة بالصلة والإحالة الضميرية.

أ/ الإحالة بأسماء الإشارة: وهذا ما اشار له هاليداي ورقية حسن يقولا في ذلك أن أسماء الإشارة تقوم بالربط القبلي والبعدي وإذا كانت أسماء الإشارة بشتى أصنافها محيلة قبلية بمتى أنها تربط جزء لاحق بجزء سابق.

ويعرف ابن يعيش أسماء الإشارة بأنها الأسماء التي يشار بها إلى المسمى من أجل ذلك معنى الفعل ولذلك كانت عاملة في الأحوال وهي ضرب من المبهم.

ب - الإحالة بالمقارنة: لقد اعتبر هاليداي ورقية حسن أن المقارنة أحد الأدوات أو أحد وسائل الاتصال إلى جانب أسماء الإشارة[2].

ج - الإحالة بالضمير: وتنقسم الضمائر إلى وجودية مثل: أنا أنت نحن، هو، هم، والى الملكية مثل: كتابي، كتابك. وبذلك تعتبر إحالة ضمائر المخاطب إحالة مقامية خارج النص، فالوجودية نسبية للوجود أي الشيء الحاضر والملكية تدل على ملكية الشيء حيث

[1] - ينظر: سليمان بوراس، مذكرة ماجستير القرائن العلائقية وأثرها في الاتساق، ص 28.

[2] - ينظر: محمد خطابي، المصدر السابق، ص (18 -19).

تنقسم الضمائر إلى نوعين: ضمائر محيلة إلى الخارج تتدرج قسمتها ضمائر المتكلم والمخاطب، وضمائر تؤدي دورا في الإتساقداخل النص تتدرج تحتها ضمائر الغائب[1] وهذا هو موضوع بحثنا.

والإحالة الضميرية هي عملية لغوية تستخدم فيها الضمائر للإشارة إلى عنصر سابق ذكر في النص يسمى المرجع (المحال إليه) وتستخدم لتجنب التكرار وتسهيل فهم المعنى مما يعزز ترابط النص وانسجامه.

رابعا: التعريف بالمدونة

هي من المسبحات نزلت بعد سورة الزلزلة وهي السورة الثامنة التي نزلت بالمدينة[2]، أي هي من السور المدنية وقد نزلت بعد الهجرة النبوية الى المدينة المنورة ويرجح أنها نزلت في السنة الرابعة أو الخامسة للهجرة أي في الفترة التي كانت الدولة الاسلامية تتشكل فيها وتتقوى مما يفسر تركيز السورة على مفاهيم الانفاق والايمان والجهاد.

وقد تناولت قضايا تتعلق بالمجتمع الاسلامي وتثبيت الايمان لذلك فهي تخاطب المسلمين في المدينة، ولا توجد رواية صحيحة تشير الى سورة الحديد قد نزلت في شخص معين[3].

[1] – ينظر: محمد خطابي، المصدر السابق، ص 18.

[2] – الزمخشري أبو قاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل، ط1، د ب ن، مكتبة عبكة، ج6، ص 32.

[3] – ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، 1884، ج27، ص 246.

الفصل الأول:

الإحالة الضميرية في سورة الحديد

تمهيد:

الإحالة الضميرية ظاهرة لغوية تشترط تطابق الضمير مع مرجعه في الإعراب والمعنى[1]، وقد درس هذه الظاهرة علماؤنا القدامى أبرزهم عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الاعجاز الذي أولى اهتماما كبيرا للضمير، وذلك في نظرية النظم حيث اعتبره أبرز ادوات التماسك والربط ، وبيّن أن الضمير لا يعطي معنا كاملا بنفسه الا إذا كان عائدا على شيء مذكور في السياق والا كان كلاما مبهما [2].

أمّا السكاكي فيقول عن عودة الضمير: "الضمير لا يعود الا الى مذكور صريح، أو مذكور حقا، كأن مفهوما من السياق ..." [3] اي أن الضمير يجب أن يكون له مرجع سابق في الذهن او في الكلام، والا كان الكلام معيبا.

أما عند المحدثين فالإحالة الضميرية هي علاقة لغوية تربط بين الضمير ومرجعه بالنص بحيث يعود الضمير على عنصر لغوي ذكر سابقا او سيذكر لاحقا مما يساهم في إتساق النص واتصاله دون تكرار الكلمات نفسها.[4]

ويرى تمام حسان في حديثه عن الضمائر وربطها بالسياق التداولي مبررا كيفية عودة الضمير والترتيب الزمني والمنطقي في الكلام (الضمير ما يكنى به الى متكلم او مخاطب او غائب، والضمير ما دل على متكلم مثل: أنا ونحن ومخاطب مثل: أنت وأنتما وغائب مثل هو وهي) [5].

ويقسمها محمد خطابي الى قسمين هما:

أ . ضمائر وجودية: مثل انا وأنتم وانت وأنتن وهن وهم وهن

ب . ضمائر ملكية: مثل أقلامي أقلامك أقلامكم، اقلامه أقلامهن [6]

تنقسم الضمائر الوجودية الى: ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب، والملاحظ أن الضمائر سوى كانت ملكية او وجودية تنقسم الى: ضمائر المتكلم او المخاطب او الغائب [7]

---

[1]– ينظر: ابن هشام، مغنى اللبيب، ج1، ص 45.

[2]– ينظر عبد القاهر الجرجاني دلائل الاعجاز، تحقيق محمود الساكن، ص 47.

[3]– ينظر السكاكي، مفتاح العلوم طبعة المكتبة العصرية، ص 341.

[4]– الطاهر احمد، في النص العربي، دار الفكر، 2010، ص45.

[5]– ينظر: تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، ص112.

[6]– ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، المصدر السابق ، ص 18.

إذا تناولنا هذه الضمائر من ناحية الإتساقنستطيع أن نميز بين الضمائر التي تحيلنا الى خارج النص، وهي ضمائر المتكلم والمخاطب والتي تساهم في إتساق النص الا في الكلام المستشهد به او الخطابات المكتوبة المتنوعة مثل: الخطاب السردي أما الضمائر الإتساقالتي لها دور في الإتساقهي التي اشار اليها هاليداي ورقية حسن (ادوارا اخرى) وتندرج تحتها الضمائر الغيبية ابرازا وتثنية وجمعا (هو، هي، هم، هما) فهي تحيل قبليا وتربط بين اجزاء النص

فضمير الغائب يقتضي تقديم المفسر عليه لأنه لم يوضح معرفة بذاتها بل بسبب ما يعود عليه فان تم ذكره دون أن يتقدمه ما يفسره بقي مبهما غامضا [1].

وفي اللغة العربية تقسم أيضا الى ضمائر منفصلة وضمائر متصلة، يقول يوسف الشاروني "من الاحالات للضمائر بعضها بارزا وبعضها مستترا"[2] .

فهذه الاحالات تكون بضمائر متصلة فمنها ما اتصلت بفعل او اسم او حرف واخرى منفصلة وهي تلك الضمائر الظاهرة.

و سنحاول في هذا الفصل تتبع الإحالة الضميرية بضمير الغائب لتبيين دورها اللساني ومدى مساهمتها في بناء النصوص، وخاصة النص القرآني.

---

[7]– ينظر: محمد عفيفي، الإحالة نحو النص دراسة في الدلالة الوظيفية، كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2005، ص 532.

[1]– ينظر: نائل محمد اسماعيل، الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني دراسة وصفية تحليلية، مجلة جامعة الازهر، مج 13، ع1، 2011، ص 1069.

[2]– ينظر: مختارات يوسف الشاروني، رياض الريف للنشر، لندن، 1962 ص400.

أولا: الإحالة الضميرية في سورة الحديد:

1 . جدول احصاء الاحالات الضميرية في سورة الحديد:

العنصر المحيل	المحال اليه	نوع الاحالة	رقم الآية
سبح	كل المخلوقات	بعدية	1
وهو العزيز الحكيم	الله	قبلية	1
له	الله	قبلية	2
يحي	الله	قبلية	2
ويميت	الله	قبلية	2
وهو على كل شيء قدير	الله	قبلية	2
هو الاول	الله	قبلية	3
وهو بكل شيء عليم	الله	قبلية	3
هو الذي خلق	الله	قبلية	4
ثم استوى	الله	قبلية	4
يعلم ما يلج	الله	قبلية	4
وما يخرج	كل شيء	قبلية	4
ما ينزل	كل شيء	قبلية	4
ما يعرج	كل شيء	قبلية	4
وهو معكم	الله	قبلية	4
له ملك	الله	قبلية	5
يولج	الله	قبلية	6
ويولج	الله	قبلية	6
وهو عليم	الله	قبلية	6
آمنوا بالله ورسوله	الله	قبلية	7
مما جعلكم	الله	قبلية	7
مستخلفين فيه	الارض	قبلية	7
لهم أجرهم	المؤمنون	قبلية	7
هو الذي	الله	قبلية	9

ينزل	الله	قبلية	9
عبده	الله	قبلية	9
ليخرجكم	الله	قبلية	9
يضاعفه	الله	قبلية	11
له	المستقرض	قبلية	11
وله	المستقرض	قبلية	11
تجري	الجنات	قبلية	12
هو الفوز	الله	بعدية	12
سور له باب	السور	قبلية	13
باطنه	السور	قبلية	13
فيه	السور	قبلية	13
ظاهره	السور	قبلية	13
من قبله العذاب	السور	قبلية	13
ينادونهم	المؤمنون	قبلية	14
هي مولاكم	النار	قبلية	15
فطال عليهم	الذين أوتوا الكتاب	قبلية	16
قلوبهم	الذين أوتوا الكتاب	قبلية	16
كثير منهم	لذين أوتوا الكتاب	قبلية	16
ان الله يحي الارض	الله	قبلية	17
بعد موتها	الارض	قبلية	17
يضاعفه لهم ولهم	المصدقين والمصدقات3	قبلية	18
آمنوا بالله ورسوله	الله	قبلية	19
هم الصديقون	المؤمنون	قبلية	19
عند ربهم	المؤمنون	قبلية	19
لهم أجرهم	المؤمنون	قبلية	19
ونورهم	المؤمنون	قبلية	19
نباته	الغيث	قبلية	20

يهيج	النبات	قبلية	20
فتراه	النبات	قبلية	20
عرضها	الجنة	قبلية	21
رسوله	الله	قبلية	21
يوتيه	الله	قبلية	21
أصاب	الله	قبلية	22
نبرأها	الله	قبلية	22
يحب	الله	قبلية	23
هو الغني الحميد	الله	قبلية	24
فيه	الحديد	قبلية	25
أنزلنا معهم الكتاب	الرسل	قبلية	25
من ينصره	الله	قبلية	25
ورسوله	الله	قبلية	25
فمنهم مهتد	الرسل وذريتهم	قبلية	26
كثير منهم	الرسل وذريتهم	قبلية	26
وآتيناه الانجيل	عيسى عليه السلام	قبلية	27
الذين اتبعوه	المؤمنون	قبلية	27
رهبانية ابتدعوها	الرهبانية	قبلية	27
الذين آمنوا منهم	المسيحيون	قبلية	27
أجرهم	المسيحيون	قبلية	27
وكثير منهم	المسيحيون	قبلية	27
آمنوا بالله ورسوله	الله	قبلية	28
رحمته	الله	قبلية	28
يجعل	الله	قبلية	28
تمشون به	النور	قبلية	28
يغفر	الله	قبلية	28
يعلم	الله	قبلية	28

يوتيه	الله	قبلية	29
يشاء	الله	قبلية	29 و21
ما يلج	الله	قبلية	4
أخذ	الله	قبلية	8

جدول (01) يوضح احصاء الإحالة الضميرية في سورة الحديد

2 – النسب المئوية للإحالة الضميرية في سورة الحديد:

بعد استخراجنا للإحالات العائدة قمنا بإحصاء عدد الاحالات العائدة على نفس المحيل إليه، ثم تحويلها الى نسب مئوية كما في الجدول الموالي:

المحيل اليه	عدد التكرارات	النسب المئوية %
الله	42	% 44،68
المؤمنون	15	% 15،95
الارض	6	% 6،38
السماء	2	% 2،12
الجنة	5	% 5،31
الرسل	14	% 14،89
النار	1	% 1،06
الفوز	1	% 1،06
الحديد	1	% 1،06
المستقرض	3	% 3،19
الفضل	1	% 1،06
المصيبة	1	% 1،06
المنافقين	2	% 2،12

جدول (02) يوضح النسب المئوية للإحالة الضميرية في سورة الحديد

ثم حولناها الى دائرة نسبية:

دائرة نسبية للإحالة الضميرية في سورة الحديد

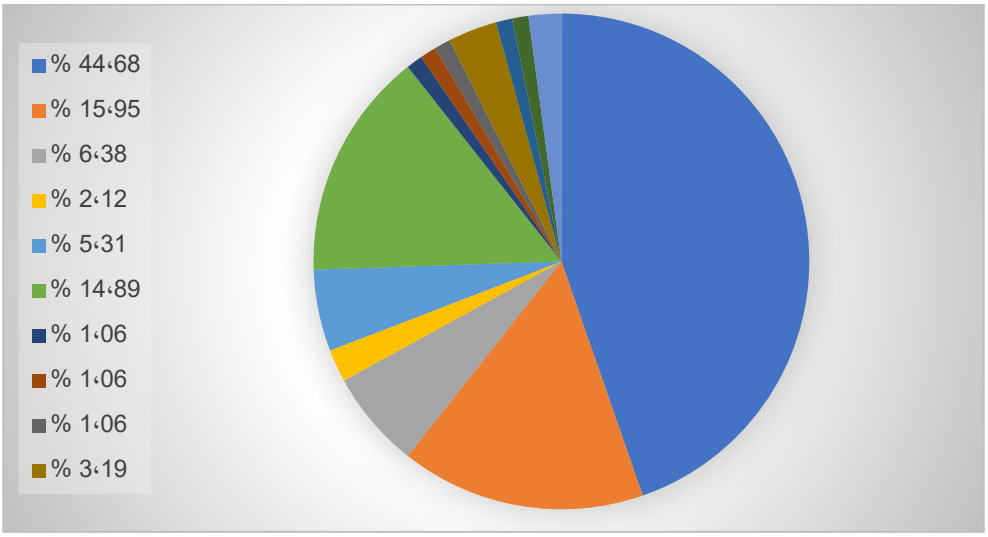

ثانيا: التحليل اللساني للإحالة الضميرية في سورة الحديد:

نلاحظ من الجدول بعد قيامنا بعملية الاحصاء أن المتحدث عنه لفظ الجلالة الله كان الأكثر تكرارا في سورة الحديد بنسبة 44,68، ويليه لفظ المؤمنين بنسبة 15,95، ثم الرسل بنسبة 14,89.

1 – المتحدث عنه لفظ الجلالة الله:

نلاحظ أن الضمائر العائدة على الله قد اتصلت بعدة أفعال وأسماء وحروف ويمكن تقسيمها على هذا الأساس:

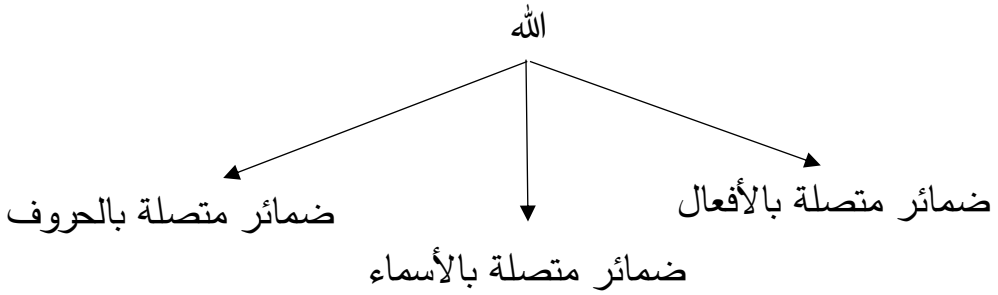

أ– الضمائر المتصلة بالأفعال:

لاحظنا أن الافعال التي اتصلت بها الضمائر المحيلة الى الله سبحانه وتعالى يمكن تقسيمها حسب دلالتها الى:

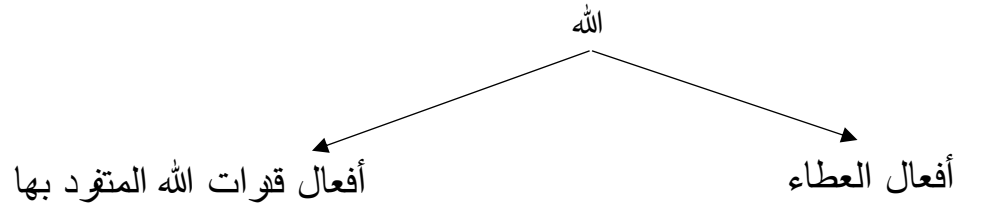

أ.1 – أفعال العطاء:

الفعل	الآية	رقم الآية
اخذ	"وقد اخذ ميثاقكم"	8
يضاعف	"فيضاعفه له"	11
آتاكم	"بما آتاكم"	22
لا يحب	"والله لا يحب كل مختال فخور"	22

جدول (03) يوضح أفعال العطاء

أ.2 – أفعال قدرات الله تعالى المتفرد بها:

ونمثلها في الجدول كما يلي:

الفعل	الآية	رقم الآية
يحي	" له ملك السماوات والارض يحي ويميت "	3
يميت	" له ملك السماوات والارض يحي ويميت"	3
خلق	"هو الذي خلق السماوات والارض"	4
استوى	"ثم استوى على العرش"	4
يشاء	"يؤتيه الله من يشاء"	20
يشاء	"الله يؤتيه من يشاء"	28

جدول (04) يوضح أفعال قدرات الله المتفرد بها

فالإحالات العائدة على الله سبحانه وتعالى والمتعلقة بالأفعال تشكل بنية دلالية وبلاغية فعند التركيز على الافعال الاتية:

"اخذ ميثاقكم" الآية 8 فالإحالة تعزز صورة الله تعالى بوصفه الفاعل فالفعل "اخذ" يوحي بالقوة والهيمنة و"الميثاق" يشير على علاقة اخلاقية وروحية فالإحالة ترجعنا الى العلاقة بين الله وعباده.

والفعل "يضاعف" الآية11 فالإحالة تعود على الله عز وجل فهو الفاعل الذي يكافئ العطاء ففعل المضاعفة دليل على كرم الله تعالى يقابله الانفاق عند البشر.

اما فعل "آتاكم" الآية 10 فالإحالة تعود على الله للتذكير بان كل ما تملكه هو من عطاء الله تعالى والفعل "يغفر" إحالة تعكس صورة الله الغفور

وفعل "يؤتكم" الآية 28 إحالة الى الله تشير الى الاستمرار للعطاء في النعم.

ومن خلال هذا نجد أن للإحالة الضميرية دور دلالي في الربط بين اخذ الميثاق والمتمثل في انه عقد بين العبد وربه ومضاعفة الاجر الناتج عن الوفاء بهذا العقد.

ب- الضمائر المتصلة بالأسماء:

لاحظنا انها اما متصلة بأسماء الله الحسنى او متصلة بلفظ الرسول صلى الله عليه وسلم.

ب.1 - الضمائر المتصلة بصفات الله تعالى:

الصفة	الآية	رقم الآية
العزيز الحكيم	"وهو العزيز الحكيم"	1
الاول الاخر الظاهر الباطن	"هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم"	3

جدول (05) يوضح الضمائر المتصلة بصفات الله تعالى

ب.2 – الضمائر المتصلة برسول الله صلى الله عليه وسلم:

علاقته برسوله	رقم الآية
"ءامنوا بالله ورسوله"	6
"والذين آمنوا بالله ورسوله"	18
"أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله"	20
"من ينصره رسوله"	24
"آمنوا برسوله"	27

جدول (06) يوضح الضمائر المتصلة برسول الله صلى الله عليه وسلم

نرى أن الضمائر العائدة على الله تعالى المتصلة بالأسماء التي شملت صفاته عز وجل وتليق بجلاله، فمن صفاته:

العزيز: اي الذي لا يغلب، نفيا لوجود اي شريك في الالوهية

الحكيم: الموصوف بالحكمة وهي وضع الاشياء والافعال لما يصلح لها، والعلم الذي لا يخطئ ولا يتخلف، وان افعاله جارية على تهيئة المخلوقات لأداء ما خلقت له من الوظائف وعززها ارشاده بواسطة الرسل والشرائع.

"هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم"، فهنا يتبين ملكه السماوات والارض، فملكه دائم لا يزول وتصرفه فيهما في كل الاحوال، اذ هو الاول الازلي وانه مستمر من قبل كل محدث ومن بعد فنائه، اذ هو الباقي بعد فناء السماوات والارض، ودلائل تصرفه محجوبة عن الحس والمعرفة وهو معنى الباطن[1].

واما وصف الاخر فهو الاخر بعد فناء جميع الموجودات ويرادفه في هذا اصطلاح المتكلمين البقاء.

والظاهر مشتق من الظهور اي ظهور ادلة صفاته الذاتية. والاستدلال والتدبر في آيات العالم، فدلائل وجوده واضحة.

[1] – ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، الكتاب الأول، الدار التونسية للنشر، ص 299–300.

أما صفة الباطن فتعني الخفي فذاته محجوبة عن إدراك الحواس الظاهرة فظهوره لا يدانيه ظهور غيره، وبطونه لا يشبه بطون الاشياء المخفية فلا أحد يعرف إدراك ذات الله ولا الكشف عن تفاصيل تصرفاته، فكان ذكر الإحالة الضميرية وتعلقها لأسماء الله الحسنى وصفاته دعما لمعاني الايمان واليقين بالله تعالى ليشعر المؤمن بعظمة من يدعوه ويؤمن به ويقدم له.

ج- الضمائر المتصلة بالحروف:

الآية	رقمها	الحرف
له ملك السماوات والارض	2	له
له ملك السماوات والارض	5	له

جدول رقم (07) يوضح الضمائر المتصلة بالحروف

الضمير "ه" متصل بحرف الجر "لـ" ويعود على الله تعالى، فهو يدل الاختصاص المطلق اي أن الملكية المطلقة للكونين الارض والسماء عائدة لله تعالى وحده، قال الطبري: (له سلطان السماوات والارض وقبضته، لا يملك ذلك معه أحد غيره)[1].

وقال ابن كثير:(اي الجميع عبيده وفي ملكه وتحت قهره وتصرفه)[2].

ومنه فالضمير العائد على الله يفيد القصر والتخصيص اي أن الملك للسماوات والارض هو لله وحده لا يشاركه فيه أحد.

2 - المتحدث عنهم المؤمنون:

من تتبعنا للإحالة الضميرية ذكرت سورة الحديد افعال المؤمنين وجزاؤهم يوم الحساب والى ما عادت اليه فنجد:

أ. افعالهم:

- **الايمان بالله ورسوله:** قال الله تعالى: "آمنوا بالله ورسوله" الآية 7 فالطبري يقول أن الايمان تصديق بالقلب واقرار باللسان وعمل بالجوارح[3].

---

[1]- ينظر: الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ضبط بشار عولو معروف، عصام فارس الحرستاني، المجلد السابع، مؤسسة الرسالة، ص1.

[2] - ينظر: تفسير القران، لابن كثير، ج 4، ص 355.

[3]- ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 22، ص567.

-**الانفاق ممّا استخلفهم الله فيه:** قال الله تعالى: "وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه " الآية 7 وذكر ابن كثير أن الانفاق يشمل الزكاة والصدقات وسائر أوجه الخير ومقصد الاستخلاف هو أن المال هو مال الله اولا[1].

- **الخشوع لذكر الله:** قال الله تعالى: " الم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الخلق " الآية 16.

وهنا يقول القرطبي أن الخشوع هو اللين والرقة عند سماع القرآن وعدم الغفلة والصلابة القلبية [2].

- **التوبة الى الله تعالى:** " واعلموا أن الله يحي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون " الآية 17

وبما جاء به الطبري أن هذه اشارة الى أن الله قادر على احياء قلوب الغافلين بالتوبة كما يحي الارض الميتة[3].

- **الصدقة والقرض الحسن:** قال الله تعالى: "ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا "الآية 18.

فتفسير القرض عند ابن كثير اي القرض الحسن بانه إنفاق بنية خالصة من غير منٍّ ولا اذى.

ب. جزاؤهم:

الاحالة الضميرية في هذه السورة تساهم في ابراز العلاقة بين العمل الصالح والجزاء الالهي مضاعفة الاجر لهم: قال الله تعالى: " يضاعف لهم ولهم اجر كريم" الاية18

لهم نور يسعى بين ايديهم: " قال الله تعالى" يسعى نورهم بين ايديهم وبإيمانهم " الآية 12 فابن كثير يشير الى أن هذا النور يكون على صراط يوم القيامة، يهديهم الى الجنة [4].

---

[1]– ينظر: ابن كثير، المصدر السابق، ص 358.

[2] – ينظر: الجامع لأحكام القران، ج 17، ص .238 ينظر: القرطبي.

[3]– ينظر: الطبري، المصدر السابق ص567.

[4] – ينظر: ابن كثير، المصدر السابق ، ج 4، ص366

دخول الجنات تجري من تحتها الانهار: قال الله تعالى: " بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها " الآية 12 قال الطبري أن البشارة تأتيهم ساعة خروجهم من القبور، وعند دخول الجنة[1].

الفضل العظيم: قال الله تعالى: "ذلك الفوز العظيم " الآية 12

فالفوز العظيم هو النجاة من النار ودخول الجنة والرضوان الاكبر.

ومنه فأفعالهم كانت: ايمان وإنفاق وخشوع وتوبة وصدقة.

اما جزاؤهم فكان: نور يوم القيامة، مضاعفة الاجر، دخول الجنة، والفوز العظيم.

وعند قيامنا بمقارنة بين المؤمنين والمنافقين في سورة الحديد نجد كما هو موضح في المخطط التالي:

فيما يلي الالفاظ التي اتصلت بها الضمائر العائدة على المؤمنين:

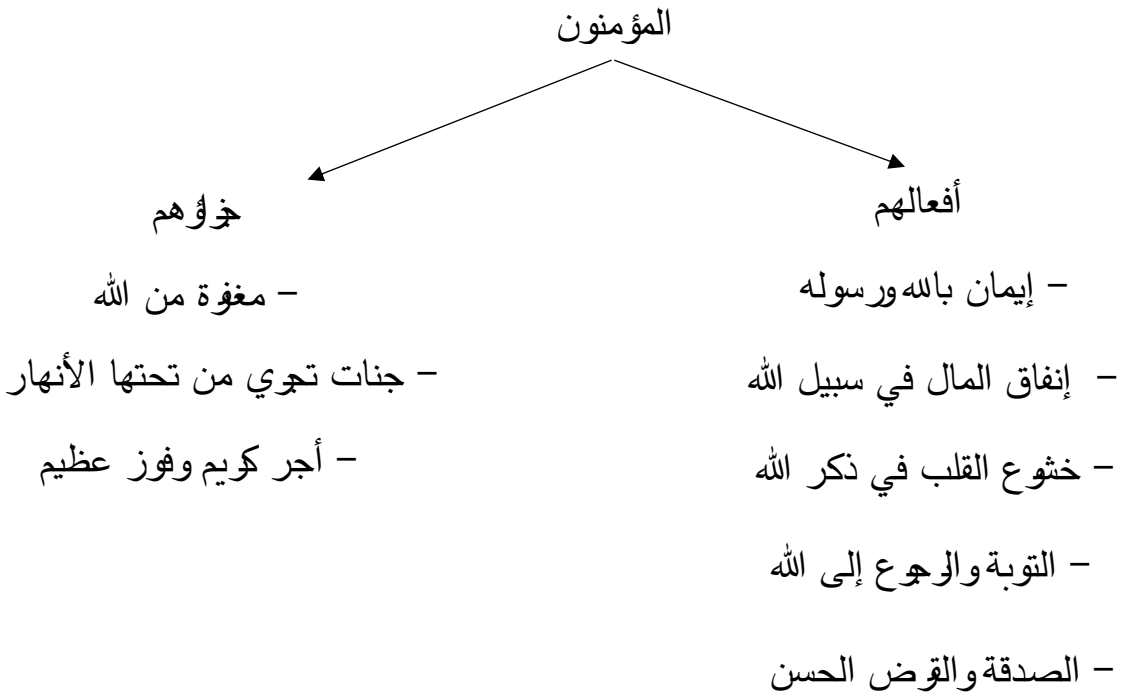

[1]– ينظر: الطبري، المصدر السابق ، ص585

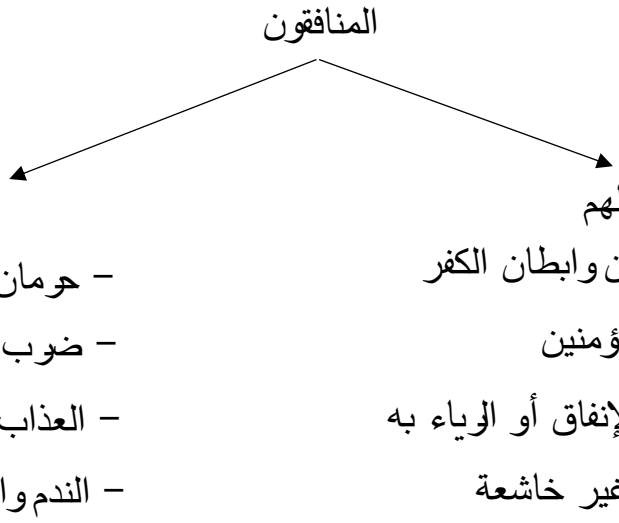

نلاحظ ان:

اولا: حال المؤمنين

- **النور والهداية:** قال الله تعالى: "يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا " الآية 12 .13
- **الانفاق بصدق:** المؤمنون ينفقون اموالهم مرضاة لله تعالى.
- **الخشوع والاخلاص:** خشعت قلوبهم لذكر الله تعالى، وكان عملهم خالصا لله تعالى.

ثانيا: حال المنافقين

- **الادعاء والكذب:** يظهرون الايمان ويبطنون الكفر.
- **الحرمان من النور:** قال الله تعالى:" يوم يقول المنافقون والمنافقات نورا "الآية 13
- **الخداع والغش:** اوهموا الناس انهم معهم ولكن بداخلهم كاذبين.

فكان جزاؤهم يفصل بينهم سور وبين المؤمنين، فداخل السور رحمة وخارجه عذاب وعليه نجد الاختلاف بين المؤمنين والمنافقين نوضحه في الجدول التالي:

المنافقون	المؤمنون
نفاق وكذب	ايمان وصدق
حرمان من النور	نور عظيم يوم القيامة
العذاب والفضل عن المؤمنين	الجنة والرضوان
رياء ونفاق	بصدق واخلاص

جدول (08) يوضح الفرق بين المنافقين والمؤمنين

فعن ابن كثير قال أن هذا السور هو الحجاب الذي يفصل بين اهل الجنة واهل النار، فالإحالات هنا جاء لتبين أن المنافقون يعيشون الظلمات في الدنيا والاخرة في المقابل المؤمنون نورهم ينعكس في دنياهم واخرتهم.

3- المتحدث عنهم الرسل:

يتحدث الله عز وجل في سورة الحديد عن الرسل الذين بعثهم الى الناس لهدايتهم الى الايمان وتحقيق العدل بين البشر، فيقول الله سبحانه وتعالى: " لقد ارسلنا رسلنا بالبينات، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط " الآية 25

فالرسل هنا هم جميع رسل الله سبحانه وتعالى الذين ارسلهم الى الناس مع مختلف المعجزات والدلائل الواضحة. وكذلك الكتب السماوية والتشريعات الالاهية، والميزان الذي يقاس به الحق والعدل[1].

وقد بين الطبري في تفسيره أن الهدف من ارسال الرسل هي قيام الناس بالقسط اي العدل في امور دينهم ودنياهم، الاهتداء بهدي الله فالإحالة على الرسل جاءت لتؤكد على الايمان بالله ورسالاته، وضرورة نصرة الرسل في مواجهة الظلم.

كما نشير الى بعض المفردات التي جاءت الإحالة اليها بنسب تمثلها في جدول مع شواهد من التفاسير:

المفردة	الشاهد من التفاسير
الارض والسماء	ملك الله الشامل لكل الخلق
الجنة	سعتها عظيمة كعرض السماء والارض
النار	مأوى الكافرين ومولاهم بسبب كفرهم
الفوز	النجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز الحقيقي
المستقرض	دعوة للإنفاق الطيب رغبة في الثواب
الحديد	فيه قوة ومنفعة للناس خلقه الله
المصيبة	كل ما ينفع من خير وشر مكتوب ومقدر

جدول (09) يوضح بقية الإحالة الضميرية

[1]- ينظر: الطبري جامع البيان عن تأويل القران، ص 584.

الارض والسماء: قال الله تعالى: "له ملك السماوات والارض " الحديد 2 وقال ايضا: "يسبح له ما في السماوات والأرض" الآية 1.

فالله مالك كل شيء في السماوات والارض لا يشاركه في ذلك مشارك ولا ينازعه منازع [1]، ويرى ابن عاشور أن ذكر ملك السماوات والارض تأكيد لإحاطة قدرته بالأشياء كلها مما يدل على وجوب الايمان به وطاعته[2].

الجنة: قال الله تعالى: "وجنة عرضها كعرض السماء والارض "الآية 21

قال ابن كثير اي عرضها لو مد كما نمد السماء والارض، وهذا تشبيه لعظم سعتها وكثرة اهلها[3]، ويقول القرطبي المعنى انها في السعة كعرض السماء والارض لو وصلت ببعضها البعض، وهذا دليل على عظم الجنة وكثرة نعيمها.

النار: قال الله تعالى: مأ واكم النار، هي اولى بكم وأنتم اولى بها فهي أواكم وبئس المصير.

الفوز: يقول الله عز وجل: **﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الصف: 12]**

يقول ابن كثيران هذه السعادة الكبرى والنعمة العظمى، حيث فازوا برضا الله ودخول الجنة [4]، ويقول القرطبي الفوز هو النجاة من النار والدخول من الجنة، وهذا هو الفوز الحقيقي[5].

المستقرض القرض الحسن: قال الله تعالى: "من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ..." الآية 11.

---

[1] – ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ص 562.

[2] – ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص 273.

[3] - ينظر: ابن كثير، المصدر السابق ، ص 350.

[4] - ينظر: ابن كثير، المصدر السابق ، ص 350.

[5]– ينظر : القرطبي، الجامع لأحكام القران، ص 236.

يقول الطبري يحثهم على النفقة في سبيل الله، فشبه ذلك بالقرض توسعة لهم ورغبة في الثواب [1]، ويقول ابن كثير القرض الحسن هو الانفاق في وجوه الخير ابتغاء مرضاة الله[2].

الحديد: قال تعالى: ﴿﴿**وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ**﴾ **[الحديد: 25]**

يقول ابن عاشور أن المراد بالإنزال احداث الحديد في الارض لا انزاله من السماء بلاغة للتعبير عن التقدير[3].

ويقول الطبري خلقنا الحديد فيه بأس شديد اي قوة في الحرب والقتال، ومنافع للناس[4].

المصيبة: قال تعالى: ﴿**مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ**﴾ **[الحديد: 22]**

يرى ابن عاشور أن المصيبة كل ما يصيب الانسان من نقص او ضرر، وتثبيت ذلك في كتاب سابق بقضاء الله[5].

ويرى القرطبي أن المصيبة تشمل كل حادث من خير او شر والمراد أن ذلك كله مقدر في اللوح المحفوظ[6].

وعليه نجد أن هذه الاحالات الارض والسماء تثبت قدرة الله العظيمة، والجنة والفوز تذكر غايات المؤمنين، والنار عواقب المنافقين، حيث انها تحث على الانفاق يذكر المستقرض، وكما انها تبين أهمية القوة الصناعية من خلال ذكر لفظ الحديد، كما تؤكد على الايمان بالقضاء والقدر المصيبة.

---

[1] – الطبري، المصدر السابق، ص562 .

[2]– ينظر: ابن كثير، المصدر السابق، ص 350.

[3] - ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص 273 .

[4] – ينظر: الطبري، المصدر السابق ، ص 562.

[5] – ينظر: ابن عاشور، المصدر السابق، ص 273.

[6] – ينظر: القرطبي، المصدر السابق ، ص 236.

وعليه بعد هذا التتبع الدقيق للإحالات الضميرية في سورة الحديد، يتبيّن أنها لم تكن مجرد أداة لغوية لتفادي التكرار أو لضبط ترابط الجمل، بل أدّت وظيفة دلالية عميقة أسهمت في **بلورة وحدة موضوعية متماسكة** تربط بين المحاور العقائدية والاجتماعية والروحية التي تنتظم السورة.

لقد شكّلت هذه الإحالات بؤرة دلالية للتوازن بين **البُعد المادي** المتمثل في عناصر مثل السلطة، الموارد، الحديد، المال، القوة...وبين **البُعد الروحي** المرتبط بالإيمان، الغيب، الجزاء، النور، التقوى، والصدق. ففي قوله تعالى:

﴿واعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم في الأموال والأولاد...﴾ [الحديد: 20]

يُعرض المادي بوصفه زائلًا، في مقابل ما هو أبقى وأعمق من الإيمان والعمل الصالح. كما في قوله:

﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾ [الحديد: 25]

حيث يظهر أن المادة (الحديد) ليست غاية في ذاتها، بل وسيلة لتحقيق العدل، والتمكين، واختبار الإيمان.

وهكذا، تسير الإحالات الضميرية ضمن مسار موضوعي يربط بين مظاهر الحياة المادية وغاياتها الروحية. ففعل **الإنفاق** مثلًا لا يُقدَّم كعمل اقتصادي فحسب، بل كاختبار للإيمان ومرآة للتسليم لله. وتُبرز السورة عبر ضمائرها هذا التوتر البنّاء بين ظاهر الحياة (المال، القوة) وباطنها (التقوى، الطمأنينة، الصدق.(

ومن حيث البناء النصي، عملت الضمائر على **ربط السياقات المتعددة بنواة دلالية واحدة** .فضمير "هو" في: ﴿سبّح لله ما في السماوات والأرض﴾ [الحديد: 1[.

﴿له ملك السماوات والأرض﴾ [الحديد: 2[.

يُرسّخ مرجعية إلهية موحدة تؤطر بقية الخطاب، في حين أن الضمير "هم" يُشير إلى جماعة المؤمنين ضمن السياق، دون تكرار ممل، مما يُحافظ على وحدة الموضوع دون إطناب.

كذلك فإن الضمير "هي" في قوله تعالى:﴿هي مولاكم وبئس المصير﴾ [الحديد: 15]. يعود على النار، محيلًا إلى الجزاء الأخروي دون إعادة الاسم، فيحافظ على **انسجام النسيج الخطابي** مع الحفاظ على الرهبة والهيبة.

أما الإشارة إلى الحديد: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾ [الحديد: 25]. فالإحالة "فيه" تعود على الحديد ذاته، لتبرز خصائصه دون تكرار مباشر، مما يُعزّز **اقتصاد التعبير** ويُضفي دقة إيحائية.

وعليه، فإن **ضمائر الغائب في سورة الحديد** كانت أداة فعالة في تحقيق:

- **استمرارية الموضوع** عبر ربط المفاصل الفكرية
- **تماسك الخطاب** من خلال توجيه الإحالات نحو مرجعيات موحدة
- **تكثيف الدلالة** عبر ترشيد التكرار وتفعيل الإيحاء

وبذلك، يتبين أن الإحالة **الضميرية** في هذه السورة لم تؤدِّ فقط وظيفة تنظيمية، بل ساهمت في **إنتاج وحدة دلالية وروحية متكاملة**، جعلت من النص القرآني بنية متماسكة على مستوى اللغة، والدلالة، والسياق.

الفصل الثاني

الابعاد السوسيوثقافية للإحالة الضميرية في سورة الحديد

تمهيد

يرتبط مفهوم "السوسيوثقافة" بدمج بُعدين متكاملين: البعد الاجتماعي والبعد الثقافي، وذلك لفهم العلاقات بين الأفراد داخل المجتمع في ضوء أنساق القيم والمعايير الرمزية والسلطوية التي تؤطر سلوكهم وتصوراتهم.

مصطلح "السوسيولوجيا" يُشير إلى كل ما يتعلّق بالبنية الجماعية والعلاقات التي تربط الأفراد في إطار منظم من القواعد، مثل السلطة، والدين، والتعليم، والطبقات الاجتماعية، وفي هذا السياق، يؤكد عالم الاجتماع "إميل دوركايم" أن الواقع الاجتماعي له وجود مستقل عن الأفراد، ويؤثر فيهم كما تؤثر القوانين الطبيعية في الأجسام الفيزيائية، فهو ليس ناتجًا عن الأفراد بل يفرض نفسه عليهم كقوة خارجية تقيّد وتوجّه سلوكهم[1].

أما مصطلح "الثقافة"، فهو لا يُختزل في مظاهر الفن أو التراث، بل يُفهم بوصفه شبكة معقدة من الرموز والمعاني والمعتقدات التي تُنظم حياة الإنسان وتُشكّل فهمه للعالم. ويذهب "كليفورد غيرتز" إلى اعتبار الثقافة نظامًا رمزيًا يمنح الأفعال الاجتماعية معناها، فهي ليست مجرد انعكاس للواقع الاجتماعي، بل قوة داخلية تُعيد تشكيله وتحديد أبعاده الداخل[2].

وعليه، فإن "السوسيوثقافة" لا يعني الجمع البسيط بين الاجتماعي والثقافي، بل يشير إلى تداخلهما العميق؛ حيث تتداخل أنساق القيم الرمزية مع البنى الاجتماعية لإنتاج ممارسات وهويات ومواقع وتفاوتات داخل الحقل الاجتماعي. ويؤكد "بيير بورديو" على هذا التداخل، إذ يرى أن الثقافة ليست منفصلة عن المواقع الاجتماعية، بل إنها تُمارَس داخل فضاء من "الحقول الاجتماعية" حيث تتوزع السلطة والرموز بشكل غير متكافئ، مما يُحدد امتيازات بعض الفئات ومواقعها داخل المجتمع الرمزية[3]. فالممارسات الدينية أو اللغوية أو

---

[1]–ينظر: دوركايم، قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة محمود قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005، ص 45.

[2]– ينظر: غيرتز، تأويل الثقافات، ترجمة فايز، الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، 2009، ص 8–10.

[3]– ينظر: بورديو، الهيمنة الذكورية، ترجمة سلمى الجيوسي، المنظمة العربية للترجمة، 2009، ص 34 . 37.

حتى الذوقية ليست تعبيرًا عن خيارات فردية حرة، بل تنتمي إلى منطق الحقل الاجتماعي الذي يجعل من الثقافة نفسها أداة للهيمنة الرمزية.

ومن هذا المنطلق، فإن المفهوم السوسيوثقافي يساعد على تحليل كيف تُنتج الثقافة أنماط السلوك والهويات في تفاعل مع البنى الاجتماعية، كما يُفسّر كيف يُعاد إنتاج الثقافة داخل المجتمع، أو قد تُعارَض ويتم التمرّد عليها. ويرى "غي روشه" أن الثقافة تشمل كل ما ليس بيولوجيًا في الإنسان، مثل اللغة والدين والقيم والطقوس والقانون وأنماط التعبير والتفاعل والمعرفة السلوكية[1]، وهي العناصر التي تتداخل مع الطبقة والتعليم والمعتقدات لتشكّل سلوك الفرد وتُعيد تشكيل هويته الاجتماعية.

وعليه سنحاول من خلال الفصل الثاني البحث عن الأبعاد السوسيوثقافية من خلال تتبع الكيفية التي تُنتج بها الضمائر، والتمثيلات، والمرجعيات، معانيها في سياق ثقافي واجتماعي محدّد.

[1]– ينظر: خيذر نرجس، المقاربة السوسيو ثقافية في الترجمة السمعية البصرية: دراسة تطبيقية على فلم مصطفى بن بو لعيد، جامعة وهران 1، 2023.

أوّلا: الأبعاد الاجتماعية لإحالة ضمير الغائب:

تُعد الإحالة الضميرية إلى الذات الإلهية من خلال ضمير الغائب (هو، له، عنده، بيده...) من أبرز الأدوات التي يوظفها الخطاب القرآني لتوصيل رسالته بأسلوب غير مباشر، يقوم على التلميح لا التصريح، وعلى الحضور الغيبي لا المكشوف.

في سورة الحديد، تتكررت هذه الإحالة بشكل لافت، حيث يغيب اسم "الله" في كثير من المواضع لصالح ضمير غائب يحمل حضورًا ضمنيًا قويًا، هذا التوجه لا يُقصد به الاختصار النصي فحسب، بل هو أداة فكرية ورمزية تُنتج دلالة اجتماعية عميقة.

فالخطاب القرآني، من خلال هذه الإحالة الضميرية، لا يتوجه إلى الفرد بوصفه كيانًا معزولًا، بل يوجّه خطابه إلى الإنسان داخل شبكة من العلاقات الاجتماعية، ويُعيد بناء العلاقة بين الفرد والجماعة، كما يُعيد ترتيب العلاقة بين الجماعة والسلطة العليا(سلطة الله تعالى). أن الضمير الغائب يُغيب الاسم، ولكنه يُبقي السلطة الإلهية حاضرة في الوعي، مما يُرسّخ عدّة مبادئ ضمن شبكة قيمية فعالة غير مرئية كما يلي:

1- ضمائر الغائب وبناء المرجعية الغيبية في الوعي الجمعي:

بإحالة ضمائر الغائب للذات الالاهية فالضمائر (هو، له، عنده، بيده، انه) تحيل الى الله عز وجل، لكنها لا تصرح باسمه، فحضوره كان رمزيا مهيمنا على الوعي الجمعي.

في قوله تعالى ﴿**له ملك السماوات والارض يحي ويميت وهو على كل شيء قدير**﴾ **الآية 2**، فالإحالة الى "هو" تؤسس لمرجعية غيبية عليا ما يشكل نظاما اجتماعيا يقوم على التوحيد والطاعة المطلقة. فالمجتمع يتأسس على غياب حاضر اي الله الذي لا نراه ولكنه حاضر من خلال ضمائره في النص والسلوك الجمعي[1].

تُعدّ إحالة ضمائر الغائب إلى الذات الإلهية في سورة الحديد من أبرز الاستراتيجيات اللغوية والدلالية التي يعتمدها الخطاب القرآني لتأسيس نسق رمزي يرتكز على حضور إلهي قوي، غير مرئي، لكنه متحقق على مستوى الوعي الجمعي والواقع الاجتماعي. فالضمائر

[1]- ينظر: مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، دار الفكر، 2001 ،ص 206- 207.

مثل" :هو، له، عنده، بيده، إنه"، تُحيل على الله عز وجل في عدد كبير من الآيات، دون أن يُذكر اسمه صراحة. وهذا الغياب الظاهري للاسم يُقابله حضور معنوي مكثف، يجعل من ضمير الغائب علامة مكرّسة لحضور الذات العليا في البنية النصية والدلالية.

في قوله تعالى: ﴿له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير﴾ [الحديد: 2]، نجد أن أفعال الملك، والإحياء، والإماتة، والقدرة، كلها مسندة إلى ضمائر غائبة تُفهم ضمنيًا على أنها تعود على الله، وهو ما يُؤسس، من خلال الإحالة، إلى مرجعية غيبية عليا، تهيمن على النظام الكوني والاجتماعي على حدّ سواء. فالله، وإن لم يُذكر اسمه في هذا السياق، يحضر بقوة في صورة الضمير، حيث تُنسب إليه الفاعلية الكاملة في الخلق والتدبير، مما يُنتج تصورًا إيمانيًا يتجاوز الإدراك الحسي، ويرتكز على الإيمان بالغيب.

من الناحية السوسيولوجية، يمكن القول أن الإحالة الى "هو" تؤسس لمرجعية غيبية عليا ما يشكل نظاما اجتماعيا يقوم على التوحيد والطاعة المطلقة. فالمجتمع يتأسس على غياب حاضر أي الله الذي لا نراه ولكنه حاضر من خلال ضمائره في النص والسلوك الجمعي[1].

فيصبح ضمير الغائب في هذا السياق ليس عنصرًا لغويًا محايدًا، بل هو أداة رمزية تُعيد تشكيل الوعي الجماعي حول من هو صاحب الفعل والسلطة، ومن له حق الأمر والنهي. فالمجتمع، وفق الرؤية القرآنية، لا يتأسس على سلطة بشرية دنيوية، بل على سلطة غيبية عليا تُمارس وجودها من خلال النص، لا عبر الحضور الجسدي أو المرئي. وهو ما أشار إليه "إميل دوركايم" حين أكد أن البنى الاجتماعية تنشأ حول قوى عُليا تتجاوز الفرد، وتُعاش بوصفها مقدسة [2].

بهذا، يصبح ضمير الغائب وسيلة لترميز الحضور الإلهي في اللغة، وتكريس موقع الله باعتباره المركز الرمزي للنظام الاجتماعي. فحين يُقال "له الملك" أو "بيده الأمر"، لا يحتاج المتلقي إلى توضيح من المقصود، لأن الضمير، بما يحمله من تراكم دلالي ضمن السياق

[1]– ينظر: مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، دار الفكر، 2001، ص206– 207.

[2]– ينظر: إميل دوركايم، قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة: سامي داود، دار المعرفة، بيروت، ص 66

القرآني، يُنتج في ذهنه حضورًا غيبيًا واضحًا، يغني عن الاسم الظاهر، ويُعزز السلطة الرمزية للإله دون حاجة إلى إثبات مرئي.

ويُضيف "بيير بورديو" في هذا السياق أن السلطة الرمزية لا تُمارَس بالقوة، بل من خلال اعتراف الجماعة بها ضمنيًا، واستبطانها عبر الممارسات اليومية[1]. فالضمير هنا يُصبح أداة من أدوات الهيمنة الرمزية، التي لا تُفرض بالعنف بل بالتطبيع النفسي والثقافي داخل الجماعة المؤمنة، التي تُدرك – عبر التكرار – أن الله حاضر في كل فعل وقيمة وموقف.

إن هذه البنية الضميرية تُعيد رسم العلاقة بين الإنسان وربه من جهة، وبين الفرد والمجتمع من جهة أخرى. فالله، باعتباره فاعلًا غير مُسمّى ظاهرًا، يُنتج في وعي الجماعة إحساسًا دائمًا بالرقابة والتوجيه، مما يُرسّخ الطاعة، ويُعزز الانضباط، ويُشكّل وعيًا دينيًا قائمًا على الخشوع الغيبي والامتثال الروحي، لا على الخضوع القسري لسلطة دنيوية.

2- إعادة توزيع القوة الاجتماعية:

يمثل ضمير الغائب في سورة الحديد أداة مركزية في إعادة تشكيل الفاعلية داخل المجتمع، إذ يُعاد من خلاله توجيه الفعل من الفاعل الإنساني إلى فاعل غيبي أعلى، هو الله عز وجل. فالأفعال الكبرى التي تتصل بالخَلق، والرزق، والتمكين، والمعرفة، والنصر، تُسند إلى ضمائر غائبة مثل :**آتى، بسط، خلق، أنزل، يعلم، يرزق، يضاعف**، والتي يُفهم ضمنًا أن فاعلها هو الله، حتى وإن لم يُذكر اسمه صراحة.

إن هذا الإسناد الضميري يعيد توجيه مراكز القوة في المجتمع، حيث تُجرّد الأفعال الكبرى من أصحابها الظاهريين، وتُنسب إلى المرجعية الإلهية العليا. فالمعرفة ليست ثمرة عقل فردي فقط، بل "هو يعلم"، والنصر ليس من كسب الجموع فقط، بل "هو ناصر"، والمال ليس ملكًا نهائيًا لصاحبه، بل "هو آتى من يشاء."

وفي قوله تعالى: ﴿من ذا الذي يُقرض الله قرضًا حسنًا فيُضاعفه له﴾ [الحديد: 11]، يُعاد تعريف فعل العطاء بوصفه علاقة مباشرة مع الله لا مع البشر. فالمتلقي هنا ليس الفقير

[1]- ينظر: بيير بورديو، الهيمنة الرمزية، ترجمة: محمد شكري مجموع، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص 30.

أو المجتمع فحسب، بل هو "الله" الذي يُضاعف القرض، فيتحول المال من أداة سلطة دنيوية إلى **وسيلة تزكية روحية** .وهذا التحول يُغيّر **منظومة القيم الاجتماعية** التي كانت تربط العطاء بالتفاخر، والمال بالهيمنة، والجاه بالتفوق الطبقي.

من منظور سوسيولوجي، يُعدّ هذا التحول نموذجًا لما يُعرف في فكر "بيير بورديو" بـ"تحويل رأس المال الاقتصادي إلى رأس مال رمزي"[1]. فالفعل الاقتصادي (الإنفاق) لا يعود فعلاً ماديًا فقط، بل يُعاد إدخاله ضمن منطق ديني يؤسّس له قيمة أخروية. فالقوة المالية لم تعد تعني التفوق الاجتماعي في الدنيا، بل أصبحت **أداة للنجاة في الآخرة**[2]**.**، وهو ما يُعيد إنتاج الهرمية الاجتماعية على أساس التقوى لا الثروة.

ويؤكد "إميل دوركايم" على أن الدين، حين يُعيد تنظيم القيم حول مرجعية غيبية، يُساهم في إعادة بناء العلاقات الاجتماعية بطريقة تُضفي على النظام تماسكًا أعلى، لأنه لا يعتمد على القهر، بل على الالتزام القلبي والانضباط النفسي[3]. وهذا ما يحدث تمامًا في سورة الحديد، حيث تتحول العلاقة بالمال إلى **علاقة مسؤولية أخلاقية** لا تميّز بين غني وفقير، بل بين مخلص ومتكبّر، كريم أو ممسك، محسن أو مراءٍ.

إن إحالة الأفعال إلى ضمير غائب يفهم منه "الله"، ليست مجرد صياغة نحوية، بل هي **آلية قرآنية لإعادة توزيع القوة الرمزية داخل المجتمع**، حيث تتبع السلطة من الإيمان لا من الامتلاك، ومن الطاعة لا من السيطرة، ومن السخاء لا من الاستحواذ. وهكذا يُعاد تشكيل المشهد الاجتماعي على أساس قيمي جديد يجعل من الفعل التعبدي أساسًا للفعل الاجتماعي، ومن ضمير الغائب أداة لتغيير بنية السلطة ذاتها.

---

[1]- بيير بورديو، الهيمنة الرمزية، ترجمة: محمد شكري مجموع، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص. 45.

[2]– ينظر: بيير بورديو، الرمز والسلطة، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، المركز الثقافي العربي،2007، ص133.

[3] – إميل دوركايم، الأشكال الأولية للحياة الدينية، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ص110.

3- التماسك الاجتماعي من خلال الإحالة الضميرية للصفات الإلهية:

تُبرز سورة الحديد بوضوح كيف تتحول الإحالة الضميرية إلى الذات الإلهية، من خلال صفات مثل" :**عليم، خبير، بصير**"، إلى آلية رمزية فعالة تُنتج نوعًا من الرقابة الذاتية داخل الفرد، مما يُؤسس لنظام أخلاقي واجتماعي يقوم على الانضباط الذاتي، لا على القسر الخارجي، ذلك أن الرقابة الغيبية ذات فاعلية فهي تزرع في وعي الفرد أن هناك من يراقب كل أفعاله، مما يجعل ضميره الداخلي يتحكم فيه بذلك يعزز النظام الاخلاقي والانضباط الاجتماعي[1].

ففي قوله تعالى: ﴿والله بما تعملون بصير﴾ [الحديد: 4]، وقوله: ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ [الحديد: 10]، نجد أن الضمير يعود على الله، دون حضور صريح لاسمه في كل المواضع. هذه الإحالة الضميرية تجعل "الله" حاضرًا دائمًا في الوعي الجمعي، بوصفه **مراقبًا غير منظور**، **لكنه مطّلع بشكل مطلق** على ما يصدر من الفرد والمجتمع من أفعال وأقوال.

هذا النوع من الحضور الرمزي يُنتج ما يسميه علماء الاجتماع بـ"الرقابة الداخلية" أو "الضمير الأخلاقي"، وهي رقابة لا تستند إلى مؤسسات الضبط (القانون، الشرطة...)، بل إلى **إيمان الفرد بأن هناك من يراه ويعلم سرّه وعلنه** .فضمير الغائب الذي يُحيل إلى "الله العليم، البصير، الخبير"، يُفعّل في داخل الإنسان شعورًا دائمًا بالمراقبة، ما يُنتج الانضباط الأخلاقي والتوازن السلوكي، ويسهم في **بناء تماسك اجتماعي مستقر**.

ويرى "إميل دوركايم" أن الدين، بوصفه نظامًا من المعتقدات والممارسات المتعلقة بـ"المقدس"، يُنتج طاقة جمعية تُنظم حياة الأفراد، وتربطهم بقوة غير مرئية يهابونها ويحترمونها[2]. وفي هذا السياق، تُصبح ضمائر الغائب في سورة الحديد تجليًا لهذه القوة الرمزية، فهي تُحيط

[1]-ينظر: إميل دوركايم، الأشكال الأولية للحياة الدينية، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ص 131.

[2]- ينظر: نفسه ص 131

الإنسان برقابة إيمانية تجعل من أفعاله ذات بُعد أخلاقي دائم، وتؤسس لتوازن داخلي يجعله أكثر التزامًا في الفضاء الاجتماعي.

أما "كليفورد غيرتز"، فيُضيف أن الثقافة الدينية ليست مجرد منظومة معتقدات، بل **شبكة رمزية تعطي المعنى للسلوك الإنساني**[1] .وضمائر الغائب هنا، بوصفها تعبيرًا عن الرقابة الإلهية، تُنتج خطابًا دينيًا يُفعّل الثقافة كمنظومة أخلاقية داخلية، تحكم السلوك وتُحدد طبيعة العلاقات داخل المجتمع.

إن هذا التأثير العميق للضمائر الإلهية لا يُقتصر على البعد الروحي فقط، بل يمتد إلى **إنتاج نمط من الانضباط الاجتماعي المستقر**، إذ يُسهم في الحد من الفوضى، ويُحفّز المسؤولية الفردية، ويُقلل من الحاجة إلى الرقابة الخارجية، لأن **الضمير المستنير بالحضور الإلهي الغائب يحكم على السلوك قبل أن يحكم عليه المجتمع.**

وهكذا، فإن الإحالة **الضميرية إلى الله** في سورة الحديد تُنتج "نظامًا خفيًا للرقابة" يُسهم في بناء التماسك الأخلاقي للجماعة، ويُكرّس طاعة مستبطنة قائمة على التقوى لا الخوف، وعلى الوعي لا الإكراه.

4- خلق حدود اجتماعية من خلال ضمير الغائب الجمعي:

يُعد ضمير الغائب الجمعي "هم" في سورة الحديد من الأدوات النصية الفعالة في بناء التمايزات الاجتماعية والرمزية داخل الخطاب القرآني. فالاستخدام المتكرر لهذا الضمير في وصف **الكافرين أو المنافقين**، في مقابل تعبيرات مثل **"الذين آمنوا"**، يُنتج ثنائية خطابية واضحة تُؤسس لما يُعرف في علم الاجتماع بـ"الحدود الرمزية" التي تُميز بين الجماعات داخل المجتمع الواحد.

في قوله تعالى: ﴿فاليوم لا يُؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا، مأواكم النار﴾ [الحديد: 15]، يظهر التمييز بين "المخاطَبين" و"الذين كفروا" بوصفهم جماعة منفصلة، تُشير إليهم

[1]- ينظر: كليفورد غيرتز، *تأويل الثقافات*، ترجمة: فالح عبد الجبار، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص29.

الآية بالضمير الجمعي "هم"، وتُسند إليهم مصيرًا مختلفًا عن جماعة الإيمان. هنا، تُنتج الإحالة الضميرية **بُنية خطابية تفصل بين "نحن" و"هم"**، وتُحوّل الانتماء الديني إلى **حد فاصل اجتماعي ورمزي** يُعيد تشكيل موقع الأفراد داخل المنظومة الجماعية.

هذا النوع من الاستخدام ليس محايدًا لغويًا، بل يُوظَّف لترسيخ **هوية جماعية متماسكة،** يتم تحديدها من خلال نفي الآخر أو استبعاده. وكما يُشير "غي روشه"، فإن الجماعات الاجتماعية تبني هويتها الداخلية عبر عملية تعيين "الآخر"، بوصفه مَن لا يشاركها القيم والمعتقدات والسلوكيات[1]. وبهذا المعنى، يُنتج ضمير "هم" في النص القرآني **هندسة رمزية للفصل بين الجماعات،** حيث تتأسس جماعة المؤمنين على إيمانها وتُعرّف ذاتها بتميّزها عن "الذين كفروا."

ويؤكد "بيير بورديو" أن اللغة لا تعكس الواقع فحسب، بل تُعيد إنتاجه من خلال أدوات التمييز والتصنيف[2]. وهنا تعمل الإحالة الضميرية على **إعادة إنتاج الفصل بين الجماعة المؤمنة والجماعات الأخرى،** ليس فقط في المصير الأخروي، بل في المرجعية الفكرية والانتماء العقدي والاجتماعي. فالمؤمن هو مَن يُشار إليه بصيغة التقدير "الذين آمنوا"، أما الكافر أو المنافق فهو "هم" الغائب، المُبعد، صاحب المصير المختلف.

هذه الثنائية لا تُشكّل قطيعة فكرية فقط، بل تُسهم في **ضبط الحدود الاجتماعية وتنظيم علاقات الانتماء والولاء داخل الجماعة** .وهي بذلك تُعزز التماسك الداخلي، لأن التمايز مع الآخر يُقوّي الإحساس بالهوية المشتركة. فضمير الغائب "هم" لا يُستخدم هنا فقط للتمييز الإشاري، بل لأداء **وظيفة اجتماعية/عقدية** تساهم في تثبيت حدود الجماعة المؤمنة، من خلال استبعاد من لا ينتمي إليها.

---

[1]– ينظر: غي روشه، *ما هو علم الاجتماع؟*، ترجمة: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ص 74.

[2]– ينظر: بيير بورديو، *الهيمنة الرمزية*، ترجمة: محمد شكري مجموع، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص 52.

5 . ضمير الغائب كحاكم للقدر والمصير

من الوظائف الرمزية الأعمق لضمير الغائب في سورة الحديد ما يتصل بإحالته إلى الذات الإلهية في سياقات تتعلق بالزمن، والابتلاء، والمصير، مما يُعيد تشكيل وعي الفرد والمجتمع إزاء مفاهيم النجاح والفشل، والأمل والمحنة، بوصفها تجليات لإرادة غيبية لا تخضع لإرادة البشر أو تحكّمهم[1].

في قوله تعالى: ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾ [الحديد: 22

يُسند الحدث الكوني (المصيبة) إلى قضاء مسجَّل مسبقًا "في كتاب"، ويُحيل فعل الخلق "نبرأها" إلى ضمير غائب يُفهم منه ضمنًا أنه الله عز وجل.

هذه الإحالة لا تُحدِّد الفاعل صراحة، لكنها تُفعِّل حضورًا غيبيًا في وعي المتلقي، حضورًا يؤكد أن **المصير الإنساني، والحدث الكوني، والزمن الاجتماعي، جميعها خاضعة لإرادة مطلقة لا مرئية**.

من منظور علم الاجتماع، يُعد هذا النمط من الإحالة توظيفًا قويًا لما يسميه "إميل دوركايم "**بالتمثّلات الجمعية**، أي تلك التصورات المشتركة التي تؤطر تفسير الجماعة للواقع، وتُضفي عليه المعنى[2]. فبدلًا من النظر إلى المصيبة كحادثة عبثية أو نتاج ضعف فردي، يُعاد تفسيرها بوصفها جزءًا من "نظام كوني مقدّر"، مما يخلق **مجتمعًا أكثر تماسكًا، وأفرادًا أكثر صبرًا وتقبّلًا للمصير**[3].

وهنا تتجلى أهمية ضمير الغائب، لا كصيغة لغوية، بل كـ"رمز غيبي" يؤسس لما يمكن تسميته بـ"فقه القدر الاجتماعي"، أي الاعتقاد بأن الزمن ليس ملكًا للإنسان، وأن ما يقع في

---

[1]– ينظر: ادوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة ابو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، 1981 ص62–63.

[2]– ينظر: إميل دوركايم، الأشكال الأولية للحياة الدينية، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ص 134.

[3]– ينظر: عبد الله دراز الدين، بحوث ممهدة لعلم الأديان، دار القلم ،2001 ،ص 191–189.

حياته ليس عشوائيًا، بل صادر عن إرادة إلهية عليا. وهذا الاعتقاد يساهم في **ضبط الانفعالات، واحتواء الصدمات، وتوفير الاستقرار النفسي والسلوكي داخل المجتمع.**

ويُلاحظ أن هذه الإحالة لا تنفصل عن البنية الشاملة للخطاب القرآني في السورة، بل تندرج ضمن رؤية تؤسس لسلطة غير مرئية لكنها حاضرة وفعالة، تفرض الطاعة والانضباط دون قهر مباشر. وهو ما يتقاطع مع تحليل "بيير بورديو" لوظيفة الرموز في تشكيل الوعي الجمعي، حين يرى أن القوة الرمزية لا تحتاج إلى قوة مادية لتُمارس أثرها، بل تعتمد على **الاقتناع الداخلي والاعتراف الضمني**[1].

إن ضمير الغائب في هذه السياقات يُنتج شبكة من المعاني التي تتقاطع فيها العقيدة مع الاجتماع:

- فالفرد يُسلّم لله في قدره
- والمجتمع يُفسّر المصيبة في ضوء الإيمان
- والوعي الجمعي يُبنى على التصديق بوجود مرجعية عليا تحكم كل شيء

وهكذا، تتجلى **أبعادٌ أربعة تُؤسسها الإحالة الضميرية في سورة الحديد:**

- مرجعية عليا لا تُرى ولكنها تحكم
- نظام أخلاقي ذاتي ينبع من الإيمان
- إعادة توزيع للسلطة من الإنسان إلى الله
- تمايز بين جماعة مؤمنة تتقبل القدر، وجماعة تنكره أو ترفضه

وعليه، فإن **ضمير الغائب في هذا السياق لا يُمثل غيابًا لغويًا، بل هو حضور رمزي يؤسس للاستقرار الاجتماعي** من خلال الإيمان، ويجعل من الخطاب الديني بنية معنوية فاعلة تُعيد إنتاج المعنى والانضباط والطمأنينة.

[1]– ينظر. بيير بورديو، *الهيمنة الرمزية*، ترجمة: محمد شكري مجموع، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص 53

ثانيا: البعد الديني (الروحي) لإحالة ضمير الغائب

تتجاوز إحالة ضمير الغائب في سورة الحديد الوظيفة النحوية لتتحول إلى **آلية دلالية عميقة** تعمل على إنتاج خطاب روحاني مشحون بالرمزية، يُعيد بناء العلاقة بين الإنسان وربه على أسس وجدانية توحيدية خالصة. فضمائر مثل" **:هو، له، عنده، بيده، إنه** " تُستخدم في السورة مرارًا للإشارة إلى الله تعالى، دون التصريح الصريح باسمه، ما يُضفي على الحضور الإلهي طابعًا من **الهيبة والغيبية،** ويُرسّخ في النفس بُعدًا دينيًا عميقًا.

هذا الإخفاء للاسم مقابل الاكتفاء بالضمير يُحوّل الله من فاعل لغوي مباشر إلى **فاعل روحاني حاضر في الضمير والسياق والوجدان** .ومن خلال ذلك، يُنتج النص علاقة "باطنية" بين العبد وربه، تقوم على **الإحساس الداخلي بالصلة، لا على الحضور المادي أو اللفظي،** وهو ما يجعل الخطاب القرآني في هذه السورة يفيض بأبعاد روحية تتجاوز حدود القول إلى مقام الذكر والشهود.

ويُشير "كليفورد غيرتز" إلى أن الدين في جوهره ليس مجرد منظومة معتقدات، بل **شبكة رمزية تنقل الإنسان من العالم المحسوس إلى عالم المعنى،** عبر رموز وممارسات تَمنح السلوك والتجربة معنى غيبيًا وروحيًا[1]. وهنا، تؤدي ضمائر الغائب هذه الوظيفة تحديدًا: فهي لا تُعرّف الإله كمعطى لغوي، بل **تزرعه في القلب بوصفه حضورًا دائمًا يُستشعَر، لا يُوصف.**

إن أثر هذه الضمائر لا يتوقف عند الإيمان النظري، بل يمتد إلى **تفعيل السلوك الروحي،** إذ تُنمي في قلب المؤمن مشاعر مثل:

- **الخضوع والتسليم** :لأن الفعل دائمًا يُسند إلى الله (يحيي، يميت، يعلم(...
- **الخوف والرجاء** :لأن الضمائر تحيل على إله يعلم كل شيء، ويُثيب ويُعاقب
- **الخشوع والسكينة** :لأن الحضور الرمزي لله لا يُقابل بالقهر بل بالرهبة والمحبة

[1]– ينظر: كليفورد غيرتز، تأويل الثقافات، ترجمة: فالح عبد الجبار، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 45

ويؤكد "مالك بن نبي" أن الخطاب الديني لا يُعيد تشكيل المجتمع فحسب، بل **يصنع علاقة جديدة بين الإنسان والكون، يكون مركزها الروح**، وذلك من خلال لغة توحيدية تُنظم الانفعالات وتُهذّب المشاعر[1]. وهذا ما تُنجزه الإحالة الضميرية في سورة الحديد: فهي تُبقي الله "غائبًا ظاهرًا"، غائبًا عن الأبصار، ظاهرًا في الضمير والقدَر والكون، ما يُحدث **نوعًا من التديّن الشعوري** الذي لا يقوم على المشاهدة بل على الاستبطان.

وهكذا، تتحول الضمائر الإلهية إلى **بنية رمزية روحية** تؤسس للإيمان بالغيب، وتُرسّخ المراقبة القلبية، وتعزز التوكل على الله، وتُغذّي مشاعر التسليم والخشوع، مما يجعل من كل فعل إنساني مُحاطًا بعناية غيبية تستحثّ الإخلاص والصفاء.

1-ترسيخ التوحيد الروحي من خلال إحالة ضمير الغائب:

تمثل إحالة ضمير الغائب في سورة الحديد إلى الذات الإلهية أسلوبًا دقيقًا يرسّخ في وجدان المؤمن عقيدة التوحيد، ليس فقط على المستوى العقدي المعلن، بل على المستوى الشعوري الباطني. فغياب الاسم الصريح "الله" في كثير من المواضع يُعوَّض بإحالات ضميرية مثل" :**هو**"، "**له**"، وهي إحالات تُغني عن التسمية، لكنها تُضفي على الحضور الإلهي طابعًا من الهيبة والتجريد.

في قوله تعالى: ﴿له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير﴾ [الحديد: 2]، نلحظ أن الأفعال المركزية في تشكيل الوجود :**الخلق، الإحياء، الإماتة، التمكين**، تُسند إلى ضمائر غائبة تُفهم ضمنًا على أنها لله، وهو ما يُنتج **وعيًا توحيديًا** يقوم على أن كل ما في الكون محكوم بإرادة غيبية عليا، حتى وإن لم تُذكر بالاسم.

و في قوله الله تعالى: "خلق السماوات والأرض" يرسخ في النفس أن كل أفعال الخلق والرزق والتدبير تصدر عن إله واحد[2].

---

[1]- ينظر: مالك بن نبي، *الظاهرة القرآنية*، دار الفكر، دمشق، ط6، 2006، ص 109.

[2]-ينظر: ابن عاشور، المرجع السابق، ص 272.

هذا الأسلوب يعكس ما يُسمّيه "مالك بن نبي" بـ"التجريد التعبّدي"، أي تغليب الرمز الغيبي على الاسم المباشر، من أجل **تربية النفس على الإيمان بالغيبيات لا بالمحسوسات،** لأن الإيمان بالغيب هو جوهر التوحيد[1]. فحين لا يُذكر اسم "الله" لكن يُستحضر من خلال "هو"، يتعلّم المؤمن أن الله لا يحتاج إلى تسمية دائمة ليكون حاضرًا، بل يكفي أن يُدرك من خلال الفعل، وهذا يُربّي النفس على **إجلال الغيب وتعظيم المجهول المقدّس.**

ويُشير "محمد عبد الله دراز" في تحليله لبنية الخطاب القرآني إلى أن **الضمير يُستخدم أحيانًا بوظيفة تعبدية،** أي ليُرسي في النفس دلالة لا عقلية فقط، بل وجدانية روحية، تملأ القلب بإحساس العظمة والخشية[2]. ومن هذا المنظور، يصبح ضمير الغائب "هو" أكثر من مجرد إحالة لغوية؛ إنه **ترميز متكرر للعظمة الإلهية،** وحامل لفكرة أن "الفاعل المطلق" ليس بحاجة إلى أن يُرى أو يُذكر بالاسم كي يكون مركز الوجود كله.

إن هذا النمط من الإحالة يُفعّل في وجدان المؤمن حقيقة أن كل أفعال الخلق والرزق والتدبير مصدرها إله واحد، لا شريك له، وأن سلطته تتجاوز الظهور إلى السيطرة الرمزية على الزمن والمكان والمصير. وهكذا تُرسَّخ **وحدة الفاعل في الكون** بوصفها حقيقة إيمانية مستقرة في النص، ومكوّنًا ثابتًا في النفس.

وبذلك، تتحوّل الإحالة الضميرية إلى **بنية عقدية/وجدانية** تُغذّي التصور التوحيدي الكامل، وتُربّي القلوب على تعظيم من لا يُدرك بالحواس، ولكن يُستشعر بالأثر، ويُؤمن به من خلال النص، لا من خلال الظهور.

---

[1]– ينظر: مالك بن نبي، *الظاهرة القرآنية*، دار الفكر، دمشق، ط6، 2006، ص 137 .

[2]– ينظر: محمد عبد الله دراز، *النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن الكريم*، دار القلم، بيروت، ط3، 2000، ص 88.

2- المراقبة والخشية من خلال إحالة ضمير الغائب:

من الوظائف الجوهرية لإحالة ضمير الغائب في سورة الحديد أنه لا يؤدي دورًا لغويًا صرفًا، بل يتحول إلى **أداة غيبية لتفعيل الرقابة الذاتية**، وبناء علاقة قلبية بين العبد وربه تقوم على **الخشية والحياء والخضوع الباطني** .وتُسند الصفات الإلهية مثل" :**عليم، خبير، بصير**"، مرارًا إلى ضمير غائب يُفهم ضمنًا أنه الله، دون تسميته المباشرة، مما يُكرّس شعورًا داخليًا لدى المؤمن أن هناك من **يراه دون أن يُرى، ويعلم دون أن يُعلن عن نفسه**.

يقول الله تعالى:﴿والله بما تعملون بصير﴾ [الحديد: 4[.﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ [الحديد: 10[

في هاتين الآيتين، تُنسَب المعرفة الإلهية بالسر والعلن إلى ضمير يُفهم أنه الذات العليّة، ما يغرس في وعي المتلقي **شعورًا دائمًا بأن الله حاضر في كل فعل وسلوك** .وهنا، لا تعمل الإحالة الضميرية فقط على إيصال المعلومة، بل على **تفعيل وجدان المؤمن واستدعاء إحساسه العميق بالمراقبة**، فالمؤمن يعيش تحت ظل الغياب الحاضر عبر ضمير الغائب فالأثر والضمير يجعله يشعر بالله يرسخ عبودية خفية ناتجة عن الاحساس القلبي.[1]

ويُشير "محمد عبد الله دراز" إلى أن القرآن الكريم لا يُقدّم العقيدة كمعرفة عقلية فقط، بل يصوغها داخل خطاب وجداني يُلامس القلب، ويزرع في النفس **الشعور بالهيمنة الإلهية غير المنظورة**، وذلك من خلال أدوات تعبير دقيقة مثل الإحالة الضميرية المتكررة[2].

إن المؤمن، عندما يتلقى الصفات الإلهية مقرونة بضمير الغائب، يعي أن هذه الرقابة **لا تحتاج إلى ظهور بصري أو مادي**، بل تكفيه الإحالة اللغوية ليشعر أنه "تحت النظر"،

[1]- ينظر: الغزالي، أحياء علوم الدين، دار المعرفة، ج 4، ص 67.

[2]- ينظر: محمد عبد الله دراز، المرجع السابق، ص 94.

وإن لم يكن "تحت البصر". وهذا ما يُنتج **الخشية الحقيقية** :تلك التي لا تنبع من خوف دنيوي أو سلطة بشرية، بل من **شعور داخلي عميق بالحياء من الله.**

ويُبيّن "مالك بن نبي" في تنظيره لأثر الدين في النفس أن "الخشية الصادقة لا تقوم على الرهبة الظاهرة، بل على إدراك المؤمن لحضور الحق في نفسه، حتى وإن غاب عن حواسه"[1]. ومن هذا المنظور، فإن ضمير الغائب في القرآن، حين يُربط بصفات الرؤية والمعرفة، يُنتج **عبودية خفية**، تنبع من الشعور بأن الله "معك أينما كنت"، وهذا هو جوهر التقوى.

وبالتالي، فإن الإحالة **الضميرية للصفات الإلهية** تمثل آلية نصيّة لغرس **مفهوم المراقبة**، وتعزيز الضمير الأخلاقي، وتوليد الإحساس بالمسؤولية أمام "الحق الغائب الحاضر". فكلما تكررت الإحالة، ازداد حضور الله في وجدان المؤمن، وتعمّق في قلبه معنى الطاعة والانضباط.

3- التوكل الروحي الكامل:

من الوظائف الجوهرية لإحالة ضمير الغائب في سورة الحديد أنه يتحول إلى أداة غيبية لتفعيل الرقابة الذاتية، وبناء علاقة قلبية بين العبد وربه تقوم على الخشية والحياء والخضوع الباطني، عندما يحال الانفاق او النصر او الجزاء الى ضمير "هو" مثلا ، فان التوكل على الله يصبح واقعا قلبيا لا مجرد خطاب، فيتعلم العبد أن الفعل بيد الله. قال الله تعالى: "من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له" الآية 11 فضمير الغائب يعيد توجيه النية والرجاء من الناس الى الله فيهذب النفس ويربيها على الاخلاص[2].

وتُسند الصفات الإلهية مثل: "عليم، خبير، بصير"، مرارًا إلى ضمير غائب يُفهم ضمنًا أنه الله، دون تسميته المباشرة، مما يُكرّس شعورًا داخليًا لدى المؤمن أن هناك من يراه دون أن يُرى، ويعلم دون أن يُعلن عن نفسه.

---

[1]- ينظر: مالك بن نبي، *مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي*، دار الفكر، دمشق، ط7، 2006، ص 132.

[2]- ينظر: ابن القيم المرجع السابق ، ص92.

يقول الله تعالى: ﴿والله بما تعملون بصير﴾ [الحديد: 4]. ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ [الحديد: 10]

في هاتين الآيتين، تُنسَب المعرفة الإلهية بالسر والعلن إلى ضمير يُفهم أنه الذات العليّة، ما يغرس في وعي المتلقي شعورًا دائمًا بأن الله حاضر في كل فعل وسلوك. وهنا، لا تعمل الإحالة الضميرية فقط على إيصال المعلومة، بل على تفعيل وجدان المؤمن واستدعاء إحساسه العميق بالمراقبة، حتى في غياب الحسيّات.

ويُشير "محمد عبد الله دراز" إلى أن القرآن الكريم لا يُقدّم العقيدة كمعرفة عقلية فقط، بل يصوغها داخل خطاب وجداني يُلامس القلب، ويزرع في النفس الشعور بالهيمنة الإلهية غير المنظورة، وذلك من خلال أدوات تعبير دقيقة مثل الإحالة الضميرية المتكررة[1].

إن المؤمن، عندما يتلقى الصفات الإلهية مقرونة بضمير الغائب، يعي أن هذه الرقابة لا تحتاج إلى ظهور بصري أو مادي، بل تكفيه الإحالة اللغوية ليشعر أنه "تحت النظر"، وإن لم يكن "تحت البصر". وهذا ما يُنتج الخشية الحقيقية: تلك التي لا تنبع من خوف دنيوي أو سلطة بشرية، بل من شعور داخلي عميق بالحياء من الله.

ويُبيّن "مالك بن نبي" في تنظيره لأثر الدين في النفس أن "الخشية الصادقة لا تقوم على الرهبة الظاهرة، بل على إدراك المؤمن لحضور الحق في نفسه، حتى وإن غاب عن حواسه"[2]. ومن هذا المنظور، فإن ضمير الغائب في القرآن، حين يُربط بصفات الرؤية والمعرفة، يُنتج عبودية خفية، تنبع من الشعور بأن الله "معك أينما كنت"، وهذا هو جوهر التقوى.

[1] – ينظر:. محمد عبد الله دراز، المرجع السابق، ص 94.

[2] – ينظر: مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط7، 2006، ص 132.

وبالتالي، فإن الإحالة الضميرية للصفات الإلهية تمثل آلية نصيّة لغرس مفهوم المراقبة، وتعزيز الضمير الأخلاقي، وتوليد الإحساس بالمسؤولية أمام "الحق الغائب الحاضر". فكلما تكررت الإحالة، ازداد حضور الله في وجدان المؤمن، وتعمّق في قلبه معنى الطاعة والانضباط.

4- بناء العلاقة القلبية بالله:

احالة ضمير الغائب في السورة ليس مجهولا بل محبوبا حاضرا في القلوب، فكثرة الإحالة الى "هو" تزرع في القلب حنينا وحبا لهذا "الهو الغائب" حيث يظهر أثره في كل شيء.

وعليه فالتكرار الملفت لضمير "هو" في السياق القرآني يُنتج أثرًا روحانيًا عميقًا، يُغرس في القلب بوصفه نداءً خفيًا لله الغائب عن الأبصار، الحاضر في الشعور والإيمان.

في قوله تعالى: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾ [الحديد: 3]، تتكرر الإحالة إلى الله عبر ضمير الغائب "هو"، بطريقة جامعة بين الزمان والمكان وبين الظاهر والباطن ما يملأ المؤمن بخشية وطمأنينة فتتجسد علاقة وجودية كاملة بالله[1].

وهو ما يُنتج إحساسًا داخليًا غامرًا بالخضوع والخشوع والطمأنينة. فضمير "هو" هنا لا يُحدّد فقط من هو الفاعل، بل يُبني من خلاله تصور وجداني لعلاقة شاملة بالله، تتجاوز المفهوم النظري إلى علاقة وجودية كلية.

يُشير محمد عبد الله دراز إلى أن من خصائص الخطاب القرآني أن بناءه الرمزي – بما في ذلك الضمائر – يُسهم في توليد علاقة وجدانية بين العبد وربه، علاقة تقوم على المحبة والخشية والطمأنينة، لا على المادية أو التصوير الحسي[2]. وهنا، يتحوّل الضمير "هو" إلى مفتاح للاتصال القلبي، لا إلى عنصر لغوي فقط.

[1] - ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر، ج 29، ص 152.

[2] - ينظر: محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن الكريم، دار القلم، بيروت، ط3، 2000، ص 102.

ويؤكد مالك بن نبي أن الدين حين يُزرع في القلب من خلال رموز روحية، يخلق "حالة وجودية" يعيش فيها الإنسان في حضرة الله دون الحاجة إلى رؤيته أو تمثيله[1]. وهذا ما تؤديه إحالة الضمير الغائب في سورة الحديد، فهي تفتح أفقًا إيمانيًا يجعل من الله "هو الحاضر في كل أثر"، وإن غاب عن البصر.

وهكذا، يُصبح تكرار ضمير "هو" في السورة فعلًا تعبّديًا غير مباشر، يُشكّل الرابط الوجداني بين العبد وربه، ويُرسّخ العلاقة التي تنبني على الحب والتسليم، لا فقط على المعرفة والعقيدة، مما يُنتج إيمانًا قلبيًا حيًا يجعل من الإحالة الضميرية أداة لاستحضار الله في كل لحظة من الوجود.

5- التسليم لحكمة القدر:

الإحالة بضمير الغائب في سورة الحديد تؤدي وظيفة دينية عميقة تتجاوز مستوى التركيب اللغوي إلى بناء تصوّر إيماني شامل حول مفاهيم القدر، والابتلاء، والتسليم. ففي العديد من الآيات، تُسند الأفعال المتعلقة بالمصير والقضاء إلى ضمير "هو" أو "نحن"، دون ذكر مباشر لاسم الله، مما يعكس طبيعة الحضور الإلهي الغيبي الذي يُراد غرسه في وجدان المؤمن.

في قوله تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾ [الحديد: 22]، تُفهم الإحالة الضميرية في "نبرأها" على أنها تعود إلى الله عز وجل، فيُصبح الحدث المؤلم (المصيبة) جزءًا من قدر مكتوب، لا نتيجة عشوائية. هذه الإحالة تُعيد توجيه وعي الإنسان، بحيث يرى في المصيبة فرصة للثبات والصبر، لا سببًا للجزع والانهيار، مما يُنتج نوعًا من السكينة والتسليم الوجداني.

[1]- ينظر: مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، دار الفكر، دمشق، ط6، 2006، ص 141.

هذا الفهم الإيماني للحدث يُمثل ما يُسميه "مالك بن نبي" بـ"النظام الداخلي للضبط"، حيث يتحول الإيمان بالغيب إلى وسيلة لضبط السلوك، وتوجيه الانفعالات نحو التوازن والرضا[1]. فالمؤمن الذي يرى أن كل ما يحدث صادر عن إرادة غيبية، يُسلّم لله، ويَقبل الابتلاء بثقة، ويُدرك أن الجزاء على الصبر أعظم من الألم نفسه.

وتُسهم هذه الإحالة الضميرية في ترسيخ منظومة روحية متكاملة تشمل:

- ترسيخ التوحيد الخالص من خلال نسبة كل فعل لله وحده.
- زرع المراقبة القلبية بوصفها دافعًا داخليًا للسلوك.
- تعزيز الإخلاص والخشوع في العبادة من خلال استحضار حضور الله غير المنظور.
- تعليم التسليم والرضا بالقضاء كقيمة دينية وأخلاقية.
- بناء محبة لله الغائب الحاضر، عبر تكرار أثره في النص والوجدان.

ويُشير محمد عبد الله دراز إلى أن القرآن لا يكتفي بتقديم الله كفاعل مطلق، بل يُصرّ على أن حضوره في النفس لا يقل عن حضوره في الوجود[2]. من هنا، فالإحالة الضميرية تعمل على تشكيل العلاقة بين العبد وربه داخل النفس: علاقة لا تقوم على المعرفة العقلية فحسب، بل على الإحساس والتسليم والثقة المطلقة.

ويمكن القول أن هذه العلاقة تعبّر عن تكامل بين البعدين الاجتماعي والديني في النص القرآني. فالإيمان بالله الغائب لا يُؤسس فقط لعبادة فردية، بل يُنتج سلوكًا جماعيًا منضبطًا بالقيم؛ لأنه يُولّد نظامًا داخليًا يربط الفرد بالجماعة عبر مرجعية غيبية موحدة، تُنظم الحياة من الداخل، لا من الخارج.

[1] - مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط7، 2006، ص. 136.

[2]- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن الكريم، دار القلم، بيروت، ط3، 2000، ص 97.

الخاتمة

ومن خلال ما تم تناوله في هذا البحث تبيّن ما يلي:

- أن الإحالة الضميرية في سورة الحديد لا تُعد مجرد بنية لغوية تنظيمية تؤدي وظيفة نحوية داخل النص القرآني، بل تتجاوز ذلك لتغدو **أداة دلالية واجتماعية وروحية** تسهم في تشكيل أنماط التفكير والسلوك في المجتمع الإسلامي. فقد كشف تحليل ضمائر الغائب، سواء المفردة أو الجمعية، عن حضور إلهي رمزي متكرر، لا يكتفي بإدارة المعنى النصي، بل يعيد بناء العلاقة بين الفرد وخالقه، وبين الفرد والمجتمع، على أسس من **الطاعة، والخشوع، والتسليم، والمراقبة الذاتية.**
- أن دور الإحالة الضميرية في سورة الحديد لهازاويتين متكاملتين:

✓ **من الزاوية اللسانية:**

- تظهر سورة الحديد كثافة إستعمال ضمير الغائب، خصوصا في إحالتها للذات الإلهية، مما يعكس إختياراً أسلوبياً مقصودا يحمل دلالة نصية قوية.
- الإحالات الضميرية في سورة الحديد ساهمت في بلورة وبناء موضوع عام تبلور من تتبعنا للإحالة بضمير الغائب متمثّل في:

الموازنة بين ما هو مادي وما هو روحي ، أي بين كل ما هو محسوس وملموس من متاع الدنيا الموارد المادية، السلطة، القوة، الحديد، وما هو روحي ما يتعلق بالإيمان والغيب والجزاء والتقوى والصدق والنور والاخرة وكل ما ندركه باليقين والبصيرة.

✓ **من الزاوية السوسيو ثقافية:**

وقد أظهر المنظور السوسيوثقافي أن هذه الإحالات تُسهم في:

- ترسيخ **المرجعية العليا الغيبية** في مقابل السلطة الأرضية،
- إعادة **توزيع الأدوار والفاعلية** داخل المجتمع لصالح سلطة الله.
- إنتاج **نظام أخلاقي داخلي** يرتكز على المراقبة الغيبية.
- تفعيل **الانتماء الجمعي** من خلال التمايز مع الآخر (الكفار والمنافقين).
- بناء **تفسير إيماني للقدر والمصير** يحقق التوازن النفسي والاجتماعي للفرد.

أما على الصعيد الديني، فإن الضمائر الإلهية (هو، له، بيده، عنده...) تُفعّل في النفس حالة وجدانية تربط المؤمن بربه دون وساطة، وتبني علاقة روحية قوامها الحب

والخشية والتوكل. ويُظهر التكرار الضميري للصفات (عليم، خبير، بصير) حضور الله في الضمير والسلوك اليومي، مما يُحوّل اللغة إلى **وسيط إيماني** لا مجرد أداة اتصال.

- إن ضمير الغائب في سورة الحديد ليس غيابًا بل هو **حضور رمزي كثيف**، يحمل في طياته رؤية قرآنية تؤسس لوعي ديني واجتماعي موحَّد، يُعيد تشكيل الفرد من الداخل، ويُعيد هندسة العلاقات الاجتماعية في ضوء مرجعية غيبية مطلقة.

وبناء على ما سبق، فإن هذه الدراسة تفتح المجال أمام دراسات لسانية–سوسيولوجية أخرى، يمكن أن تتناول آليات لغوية مشابهة في سور أخرى، أو تستثمر في تحليل البنية الضميرية في سياق الخطاب القرآني العام، لاستكشاف مزيد من التفاعلات بين اللغة والوحي والمجتمع.

قائمة المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم برواية ورش

ثانيا : الكتب والمعاجم

- إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم مصر العربية، د. ط، ج1، مادة (و، س، ق)
- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة مادة (حول)
- ابن القيم مدارج السالكين دار الكتب العلمية ج 2 .
- ابن كثير، تفسير القرآن الكريم.
- ابن منظور، لسان العرب، تح: عامر حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2003.
- ابن هشام الانصاري، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، د ط، 2004.
- ابن هشام، مغنى اللبيب، ج1.
- أحمد عقيقي: نحو الجملة اتجاه جديد في الدرس النحوي.
- أحمدعفيفي، الإحالة نحو النص دراسة في الدلالة الوظيفية، كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2005.
- ادوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة ابو ديب، مؤسسة الابحاث العربية، 1981 .
- براون ويول، التحليل الخطاب ترجمة الدكتور محمد لطفي الزلطيني، د منير التريكي، 1983.
- دي بوجراند روبوت ودر سلر، ولفجانج، مدخل إلى علم اللغة، ترجمة: صبحي حديدي، ط1، بيروت، دار التنوير.
- بوراس سليمان: مذكرات ماجستير والقرائن العلائقية وأثرها في الاتساق.
- بورديو، الهيمنة الذكورية، ترجمة سلمى الجيوسي، المنظمة العربية للترجمة، 2009.
- بيير بورديو، الرمز والسلطة، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، المركز الثقافي العربي،2007.
- تفسير القران، لابن كثير، ج 4.
- تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها.
- جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص، الدار البيضاء، بيروت، ط 1.

- خالد حسن العدواني، دراسات الجملة العربية ولسانيات النص.
- خليل براهيم، لسانيات ونحو النص، ط1، دار الميسر للنشر والتوزيع والطباعة.
- دوركايم، قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة محمود قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005.
- ميل دوركايم، *الأشكال الأولية للحياة الدينية*، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري،
- الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر، ج 29.
- الزمخشري أبو قاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل، ط1، د ب ن، مكتبة عبكة، ج6.
- السكاكي، مفتاح العلوم طبعة المكتبة العصرية.
- الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم، دار اخبار اليوم، ج 13، ص 89.
- صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، ط1، 2000.
- الطاهر أحمد، في النص العربي، دار الفكر، 2010 .
- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، 1884، ج27.
- الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ضبط بشار عولو معروف، عصام فارس الحرستاني، المجلد السابع، مؤسسة الرسالة، ص1.
- عبد القاهر الجرجاني دلائل الاعجاز، تحقيق محمود الساكن.
- عبد الله دراز الدين، بحوث ممهدة لعلم الاديان، دار القلم ،2001.
- الغزالي، احياء علوم الدين، دار المعرفة، ج 4، ص 67.
- غي روشيه، ماهي الثقافة، ترجمة عمار بن رمضاني، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2016.
- غيرتز، تأويل الثقافات، ترجمة فايز، الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، 2009.
- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، دار الفكر 2001.
- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي
- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، الكتاب الأول، الدار التونسية للنشر.
- محمد خطابي، لسانيات نص.
- محمد محي الدين الفيروز أبادي: قاموس المحيط.

- مختارات يوسف الشاروني، رياض الريف للنشر، لندن، 1962.
- مداس أحمد، لسانيات النص، نحو منهج تحليل الخطاب الشعري، ط1، حدار للكتاب العالمي عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.
- ميشيل فوكو المراقبة والمعاقبة المركز الثقافي العربي، 2004.
- النعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ط1، عمان- الأردن 1429 هـ - 2002 م - عالم الكتب الحديث، جدار للكتاب العالمي المنشور التوزيع.

ثالثا : المذكرات

- خيذري نرجس، المقاربة السوسيو ثقافية في الترجمة السمعية البصرية: دراسة تطبيقية على فلم مصطفى بن بو لعيد، جامعة وهران 1، 2023.

رابعا : المجلات

- نائل محمد اسماعيل، الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني دراسة وصفية تحليلية، مجلة جامعة الازهر، مج 13، ع1، 2011.

فهرس الموضوعات

شكر وتقدير .....

إهداء .....

مقدمة.....أ

مدخل: مفاهيم أساسية

أولا: لسانيات النص 9

ثانيا: الاتساق 10

أ. لغة: 10

ب – اصطلاحا:.....10

ج . آليات الاتساق: 10

ثالثا: الإحالة 12

1– مفهومها: 12

2 – أقسام الإحالة: 13

3– أدوات الإحالة: 14

رابعا: التعريف بالمدونة.....15

الفصل الأول: الإحالة الضميرية في سورة الحديد

تمهيد: 17

أولا: الإحالة الضميرية في سورة الحديد:.....19

1 . جدول احصاء الاحالات الضميرية في سورة الحديد:.....19

2 – النسب المئوية للإحالة الضميرية في سورة الحديد: 22

ثانيا: التحليل اللساني للإحالة الضميرية في سورة الحديد:.....23

1 – المتحدث عنه لفظ الجلالة الله: 23

2 – المتحدث عنهم المؤمنون: 27

3– المتحدث عنهم الرسل: 31

الفصل الثاني: الابعاد السوسيوثقافية للإحالة الضميرية في سورة الحديد

تمهيد 37

أوّلا: الأبعاد الاجتماعية لإحالة ضمير الغائب: 39

1-ضمائر الغائب وبناء المرجعية الغيبية في الوعي الجمعي:... 39
2- إعادة توزيع القوة الاجتماعية: 41
3- التماسك الاجتماعي من خلال الإحالة الضميرية للصفات الإلهية:.....43
4- خلق حدود اجتماعية من خلال ضمير الغائب الجمعي:.....44
5 . ضمير الغائب كحاكم للقدر والمصير 46
ثانيا: البعد الديني (الروحي) لإحالة ضمير الغائب.....48
1-ترسيخ التوحيد الروحي من خلال إحالة ضمير الغائب: 49
2- المراقبة والخشية من خلال إحالة ضمير الغائب:.....51
3- التوكل الروحي الكامل: 52
4- بناء العلاقة القلبية بالله: 54
5- التسليم لحكمة القدر:.....55
الخـاتمـة.....**57**
قائمة المصادر والمراجع.....**60**
فهرس الموضوعات.....**64**
ملخص الدراسة: **67**

ملخص الدراسة:

تعد الإحالة الضميرية من ابرز الوسائل اللغوية التي يعتمدها النص القرآني لبناء اتساقه الداخلي وتعزيز ترابطه الدلالي .

وفي سورة الحديد تظهر الإحالة الضميرية (ضمائر الغائب) بوصفها اداة لغوية تعمل على تثبيت الهوية الالهية في السياق ، وتكثيف حضور الله تعالى كفاعل مطلق في الكون .

من البعد اللساني الإحالة الضميرية بوظيفة ربط الاجزاء النصية ببعضها البعض ، حيث تعود الضمائر الى مرجعيات محددة . غالبا الذات الالهية . لتمنح الخطاب تماسكا دلاليا يرسخ مركزية الفاعل الالهي . فضمائر الغائب، تحيل باستمرار على الذات الالهية ، ما يعكس اتساقا نصيا قائما على الاضمار والتكرار الضمني للمرجع .

أما في البعد السوسيو . ثقافي ، فان الإحالة الضميرية تؤدي دورا بنائيا في تشكيل الوعي الجمعي والثقافي حول طبيعة العلاقة بين الانسان والذات الالهية . فهي تكرس رؤية توحيدية مركزية ترى الله تعالى مرجعية عليا مطلقة للخلق والتشريع والقيم . كما تساهم في تثبيت مفاهيم السلطة الالهية والعدالة والجزاء ، مما ينعكس على بناء النسق الاجتماعي وتوجيه السلوك الفردي والجماعي ضمن اطار ثقافي ديني متماسك .

اجمالا، فان ضمائر الغائب في سورة الحديد لا تكتفي بوظيفتها اللغوية ، بل تتجاوزها لتؤدي وظيفة رمزية وثقافية ، تعزز حضور الله في الضمير الجمعي ، وتعيد تشكيل علاقة الانسان بالخالق والكون ضمن رؤية قرآنية شاملة تربط اللغة بالثقافة والايمان بالسلوك الاجتماعي .

الكلمات المفتاحية : لسانيات النص، الإحالة الضميرية، البعد اللساني، البعد السوسيو ثقافي.

abstract

Conscientious assignment is one of the most prominent linguistic means adopted by the Qur'anic text to build its internal consistency and enhance its semantic coherence. In Surat Al-Hadid, the pronoun reference (the pronouns of the absent) appears as a linguistic tool that works to establish the divine identity in the context, and to intensify the presence of God Almighty as an absolute actor in the universe. From the linguistic dimension of the conscientious assignment of the function of linking the textual parts to each other, where the pronouns return to specific references often the divine self to give the discourse semantic coherence that consolidates the centrality of the divine actor. The virtues of the absent, constantly refer to the divine self, reflecting a textual consistency based on implicit repetition of the reference. In the socio-cultural dimension, the conscientious assignment plays a constructive role in shaping the collective and cultural awareness about the nature of the relationship between man and the divine self. It enshrines a central monotheistic vision that sees God Almighty as an absolute supreme reference for creation, legislation and values. It also contributes to the consolidation of the concepts of divine authority, justice and retribution, which is reflected in building the social system and directing individual and collective behavior within a coherent cultural and religious framework. In general, the absent pronouns in Surat Al-Hadid are not satisfied with their linguistic function, but go beyond them to perform a symbolic and cultural function, enhance the presence of God in the collective conscience, and reshape the relationship of man with the Creator and the universe within a comprehensive Quranic vision linking language with culture and faith with social behavior.

Keywords : Linguistics of text, pronoun reference, linguistic dimension, sociocultural dimension.v